9

أريد لأطفالي أن يكونوا مبدعين

لا يشعر الإنسان اللامحدود أنه يرتبط مع الذين يشاركونه حياته بعلاقة مُلكية، ويعرف أنّ أفضل طريقة لتخسر أيّ شيء هي أن تحاول التشبّث به بقوة، كما أنه في الحقيقة لا يعرف الحسد، ولكنه يتبنّى منحى تعاونيًّا في حلّ أي مشكلة، ولا تزعجه أيّ تسميات يلصقها الناس به أو بالآخرين، ويفهم الحقيقة في التناقضات الظاهرة، كما يفرح لنجاحات الآخرين، ويرفض لعبة المقارنة / التنافس رفضًا تامًّا. لا يوجد لديه أبطال محدودون، ويؤمن أنه يوجد مقابل كل بطل مشهور ملايين الأبطال المغمورين، وهو يرى بطلاً في كل إنسان، إنّه يعمل بجد لتحقيق حلمه بدلاً من أن يعيش هذا الحلم من خلال خبرات الآخرين.

وهو لا يعطي قيمة إيجابية للتطابق من أجل التّطابق، إنه قادر على تجاوز العادات والتقاليد السخيفة بسهولة وهدوء ما أمكنه ذلك. وهو يتعامل مع الآخرين بنزاهة طفولية بريئة صافية، ويرخي العنان لخياله الإبداعيّ في أيّ أمر، ويتعامل مع كلّ شيء في الحياة من وجهة نظر إبداعيّة.

إذا كنت لا ترى في أي وضع ما إلّا ما يمكن أن يراه الآخرون، فيمكن أن يُقالَ بأنك ضحية لثقافتك

– صمويل إتشيا هاياكاوا (S.I. Hayakawa, 1906–1992)، أكاديمي وسياسي كندي من أصل ياباني.

إنّ التّخيّل هو بداية الإبداع. فأنت تتخيّل ما ترغب فيه، وترغب بما تخيلته، وفي النهاية ستجد ما ترغبه

– جورج بيرنارد شود (Geerge Bernard shaw, 1856 –1950)، مؤلف إيرلندي شهير.

لقد كتبت الكثير عن الإبداع والأطفال، مع تركيز خاص على أنّ هناك بعض الأطفال المبدعين وآخرين غير مبدعين. أما أنا، فلي رأي مغاير بخصوص إبداع الأطفال؛ لأني

Opelkanal.com

أؤمـن بشدة أنّ الأطفال جميعهم مبدعون، وأننا نشجع الإبداع الفطريّ أو نكبته من خلال الطـرق التي نتعامل بهـا معهم. ويمكن لهذا الإبـداع أن يتفتح عند تحفيـزه وتعزيزه. ومن المهم تنشئة الأطفال ليكونوا مبدعين إلى أقصى ما يستطيعون؛ لأن ذلك سوف يحدث فرقًا كبيرًا في كيفية تعاملهم مع كل شيء يفعلونه في الحياة عندما يكبرون.

ما الإبداع لدى الأطفال؟

الإبـداع يعني التّفرّد. إنه يعنـي التعامل مع أيّ مشكلة في الحياة مـن منظور فريد. ويعني الإبداع حرفيًّا: إضافة شيء جديد إلى الوجـود. إنّه ليس محصورًا فـي الهوايات الفنية أو الموسيقيّة، إذ يمكن أن تكون مبدعًا على نحـو استثنائي، وتمارس في الوقت ذاته أيّ شيء يستهويـك. فمثلاً، يمكـن أن يكون تحضير طبـق خضراوات (سلطـة)، أو تصليح دراجة هوائيّة، أو الشقلبة في الهواء، أو النزول في بركة سباحة أعمالاً إبداعيّة. ولذلك، فإنّ الأطفال الذيـن يُسمح لهم باستخدام تميّزهم وتفرّدهم يتصرفون فـي واقع الأمر بطريقة إبداعيّة. أما نقيـض الإبداع فليس الآلية أو الغباء، وإنمـا الانصياع أو الخضـوع، أو أن يكون الإنسان إمّعـة. إنّنا نكبت الإبداع عند الأطفال عندما نطلب إليهـم أداء الأشياء بالطريقة التي تعلموا بهـا فقط، وأن يلّونوا ضمن الخطوط المحدّدة دون استخـدام خيالهم، وأن يقلدوا البالغين بـدلاً من ابتكار طريقة خاصة بهم، أو أن يضعوا رؤوسهم بيـن الرؤوس ويفعلوا ما يُؤمرون به. إنّ الأطفال جميعهـم يتّسمون بالتّفرّد؛ فكلّ واحد منهم فريد بحـدّ ذاته، ولم يسبق في تاريخ كوكبنا أن أحدًا قبله قد أطلّ على هذا العالم ورآه تمامًا مثلما يراه هو الآن.

أمـا معيار الإبداع فيكمن في الاستعداد والقدرة على الاستفادة من هذا التّفرّد في مهمات الحياة كلها. ولسـوء الحظ أنّ الأطفـال يتعرضون إلى ضغوطات شديـدة تؤدي إلى كبت الإبـداع لديهـم بالرغم من الادعـاء بأنها تحفـزه. ويقول رائـد التّطوير الذّاتـيّ، المؤلف الأمريكي إيرل نايتنغيل (Earl Nightingale, 1921 /1989):

«قد تكون تصرفات الطّفـل وأفعاله مبنية على افتراضات كاذبـة؛ فالطريقة التي يربّي بها الأطفـال في البيت والمدرسة هي التي تعطيهم صورة مشوشة تمامًا للحياة في المجتمعات الحرة. إنهم يتعلمـون أن يكونوا حذرين وأن يتجنبوا المخاطر حتـى لا يصابوا بأذى، وأن ينسجموا مـع روح القطيع والأفكار السائـدة، وأن يسيروا في الحياة علـى رؤوس أصابع

أقدامهم بدلًا من الجري فيها والمرح في أرجائها. وفي المحصلة، فإنهم يجهلون ما ينتظرهم»

وبرأيي أنّ الأطفال الذين يربّون بطريقة تشجّع الإبداع الفطريّ هم الأطفال الذين يُسمح لهم التّصرّف بحريّة، ولا يجبرون على الانصياع، وعيش الحياة مثلما يعيشها الآخرون فقط. مثل هؤلاء الأطفال، يتعلّمون منذ البداية أنّ الانقياد والتّكيّف مع الحياة أهداف تافهة لا تستحق بذل جهد في سبيل تحقيقها، وأن لا بأس من تحدّي السّلطة القائمة، وطرح تساؤلات، وتجربة طرق جديدة لإنجاز الأعمال. وبالرّغم من أنك نادرًا ما تسمع أحد الآباء يقول: لا أريد لطفلي أن يكون مبدعًا، إلاّ أنّ معظم تصرفات الآباء تدعم هذا الاتجاه. فأنت قد ترغب في أن يكون طفلك مبدعًا، ومع ذلك، فلربما كنت تكبت الوصول إلى هذا الهدف بإصرارك على التزام طفلك بما هو سائد في المجتمع، وتأدية ما يُناط بهم بالطريقة التي تتوقعها السّلطات ذات الوصاية.

أما المكونات الدقيقة للإبداع فيصعب تحديدها. فقد بذل الخبراء جهودًا مضنية لتحديد معنى الإبداع بدقة، إلّا أنّهم لم يتوصلوا بعد إلى اتفاق عام على ذلك. ومع هذا، فإنّنا نستخدمه بإعجاب شديد. وبدوري، سوف أقدّم رؤيتي لمكونات الإبداع، وهي لا تشبه أيّ شيء قد تكون قرأته في مراجع الطفولة والإبداع.

إنّ الهدف من تأليفي هذا الكتاب هو مساعدتك على تعزيز الإبداع عند الأطفال من خلال عدم إخماد الشّرر قبل أن تتاح لها فرصة إشعال وهج الإبداع في نفوسهم. ولذلك، أقترح أن تهتم كثيرًا وتتصرف بإيجابية لمساعدة أطفالك على التعبير عن رغباتهم الإبداعيّة الجامحة، بدلًا من تحويلهم إلى انقياديين. ولذلك، يتعين عليك وأنت تقرأ هذا الفصل، وبخاصة الإستراتيجيات المقترحة لمساعدة أطفالك على تنمية ميولهم الإبداعيّة الغريزية أن تتذكر كلمات رالف والدو إيمرسون (Ralph waldo Emerson، 1803 – 1882)، أحد أشهر الفلاسفة والشعراء الأمريكيين: «يتوصل كل إنسان في مرحلة ما من مراحل تعليمه إلى قناعة مفادها أنّ الحسد جهل، وأنّ التقليد انتحار... وعلى كلّ من يريد أن يكون إنسانًا ألا يكون إمّعة».

ولا شك في قوة هذه الكلمات، وهي من صميم معنى أن يكون شخص ما مبدعًا. وما أعنيه بالشخص المبدع بدقّة هو: «الحرية في تطبيق تفرده على أفكاره وأفعاله جميعها

طالما لم تتعارض مع حقّ أيّ شخص آخر في التّصرّف ذاته». ويمكن أن يحظى الأطفال بهذه الفرصة الرائعة في كلّ يوم من أيام حياتهم، أو أنهم قد يسعون إلى المطابقة وتقليد الآخرين وأداء ما يُؤمرون به. وهكذا، فإنّ أسلوبنا في الحياة، سواء كان إبداعيًّا أو انقياديًّا، يعتمد على ما نعزّزه ونسمح به. وهذا ما تتناوله المكونات الرئيسة السبعة التالية للمنحى الإبداعيّ لتنشئة الأطفال:

1. **الشّعور بالاستقلاليّة**: تتضمّن العمليّة الإبداعيّة إضافة شيء جديد إلى الوجود، أو التّعامل مع مشكلة ما من منظور جديد. وحتى يستطيع الأطفال أن يبدعوا، يجب أن يكون لديهم شعور قوي بالاستقلاليّة. ويتعين عليهم معرفة أنّه غير مطلوب منهم تلبية رغباتك ولا رغبات أيّ شخص آخر ليتمكنوا من إنجاز الأشياء الموكولة إليهم. فإذا كنت تربّي الأطفال ليظلوا متواكلين عليك، وانتظار موافقتك، والحصول على إذن منك، أو ليلتزموا بالقوانين، واتخاذ الطريقة التي تفرضها عليهم، فأنت بذلك تقضي على ميلهم الإبداعيّ. ومع هذا، فإنّ تشجيع الاستقلاليّة لا يعني التّسامح مع الاستهتار، وعدم تحمّل المسؤولية، وإنما يعني ببساطة معاملة الأطفال على أنهم متفرّدون ومتميّزون، وكذلك تشجيعهم على البحث عن طرق خاصة بهم للتعامل مع كلّ شأن في الحياة قدر الإمكان. وبالنسبة إلى الأطفال الدّارجين، فإنّ تعزيز الاستقلاليّة يعني السّماح لهم بصنع لعبهم، وممارسة ألعابهم دون تدخل منك. في حين يعني تعزيز الاستقلاليّة بالنسبة إلى من هم تحت سن المراهقة السّماح لهم بكتابة قصصهم في المدرسة، واختيار أصدقائهم بأنفسهم. أمّا من هم في مرحلة المراهقة فيعني السّماح لهم بالتعبير عن آرائهم، وتشجيع الفتيات على تجربة إعداد وجبات طعام جديدة.

إنّ الإنسان المبدع هو الذي يتّصف بالاستقلاليّة، وهو الذي لا ولن يفسح مجالًا لأيّ كان أن يفكر أو يتصرّف نيابة عنه. فإذا كنت تريد لأبنائك أن يكونوا مبدعين، فامنحهم استقلاليّة وحرية معقولة ليفكروا كما يشاؤون، وليختبروا الحياة بأنفسهم، وتجريب طرقهم الخاصة والتّخلّي عن الطرق الشائعة المعهودة إن كانت لا تناسبهم، لا أن تكبت الإبداع عندهم لحاجتك إلى إبقائهم معتمدين عليك.

2. **عدم اللجوء إلى تسميات ونعوت**: تتطلّب العمليّة الإبداعيّة أن يكون الإنسان مُنفتحَ العقل على الخبرات الجديدة، وعلى كلّ ما يصادفه، وأن يكون مستعدًّا لارتياد مجالات حياتيّة غير مطروقة. وهذا يعني توقّف الآباء عن إطلاق تسميات ونعوت على الأطفال، وأن يعزّزوا، بدلًا من ذلك، ميولهم الفطريّة لتجريب أيّ شيء وكلّ شيء معتمدين على نزواتهم ومظاهر الطّبيعة. وهذا يعني التّخلّص من بطاقات التسميات والنعوت مثل: الطّفل الأكبر، الأوسط، أو الأصغر، أو الطّفل الذّكي، أو بنت أبيها، أو الجميلة، أو الفوضويّ، الكسول، بطيء التّعلّم، بذرة فاسدة، مصرف العائلة، وصمة عار، الحسناء، ماما الصغيرة، المتمرّد، الأنيق، الوسخ، الخجول، الفنان، الزّعيم، أو أيّ وصف آخر يمكن استخدامه. إنّ السّبب في الدّعوة إلى التّخلّص من هذه الأوصاف هو أنّ الطّفل المبدع يمكن أن يكون جميع ما ذُكر سابقًا في يوم من الأيام أو لا يكون. فطوال ساعات النهار، يمكن للطفل أن يلهو بالكرة أو بالمكعبات، ثمّ يشعر بالكسل، ومن ثَمَّ يرغب بعد ذلك في الرّسم، ثم يلعب لعبة أخرى؛ أي أنّه قد يحسّ بخمول في لحظة من اللحظات، وبطاقة نشاط كبيرة في لحظة أخرى. ويبدو أنّ هذه التّعدّديّة مهمّة جدًّا للأطفال المبدعين جدًّا؛ أي توافر فرصة تجربة جوانب الحياة كلّها دون تبويبها أو تصنيفها.

ونادرًا ما يطلق الآباء تسمية أو وصفًا على أكثر من طفل واحد من أطفالهم، وتظلّ هذه الأوصاف ملتصقة بمن وُصِف بها بالرّغم من محاولاته لتغييرها. وعندما يتقبّل الأطفال الأوصاف التي تُلصق بهم، فإنه يستسلمون ويتحولون إلى أفراد غير مبدعين، وهو أمر لم يكونوا يرغبون فيه أصلا. إنّهم في هذه الحالة يستمعون إلى منطقهم الدّاخليّ الذي يقول لهم: لِمَ أقاوم ما دام الجميع ينظرون إليّ على هذا النّحو؟ ولن يمضي وقت طويل حتى يجسّد هؤلاء الأطفال التسميات التي أُطلقت عليهم، وسوف تتوقّف عصارات إبداعاتهم عن الجريان، فيحملون هذه الصّفات التي وُصِموا بها فعلاً. وعليه، فإنّ الإبداع يتحقّق عندما يرى الأطفال أنفسهم قادرين على فعل أيّ شيء وغير مكبّلين بتسمية أو ووصف بعينه.

3. **التّعوّد على الصّدق والنّزاهة الشّخصيّة**. هناك ارتباط قويّ بين الإبداع من جهة والصّدق والنّزاهة الشّخصيّة من جهة أخرى. فمن أجل أن يتمكّن الطّفل من تطبيق تميّزه على أيّ مهمة في الحياة، يجب أن تكون لديه ثقة مطلقة في نفسه كإنسان نزيه، موثوق،

ويُعتمد عليه. فـإذا كان الطّفل صادقًا مع نفسه، عندها يكـون حرًّا في استخدام تلك النّزاهـة الشّخصيّة فـي الحياة وجميع مهماتهـا وتجاربها. أما الطّفـل الذي يخادع نفسه، ويكذب علـى الآخرين، ويعيش حيـاة زائفة، فسوف يتعامـل مع مشكلات الحيـاة من منظـور حاجته إلى إخفاء الخدعـة التي اخترعها. ونتيجـة لذلك، سوف تراه يتصرّف بطريقـة تهدف إلى كسب استحسان الآخرين والحفاظ على استمرارية كذبته، لا أن يكـون صادقًا ونزيهًا. ولذلـك، فإنّ الأطفال الذيـن يتصرّفون بناء على بعض توقّعاتهم النّفسيّـة المصطنعة، يتصرفون بالتالي بطريقـة زائفة. ولا يمكن بأيّ حال تعزيز الإبداع في طفل يسلك درب الزّيف والخداع.

إنّ الطّفـل المبدع يحتـاج إلى الشّعور بسلام مـع ذاته حتى وإن وقع في أخطـاء. كما أنّه بحاجـة إلى معرفة أنّـه يطبّق تميّزه فـي إدارة حياته، وأنّ التّصـرّف الاستعراضيّ المصطنع ليس سخيفًا فحسب، بل سوف يؤثر سلبيًّا علـى الإبداع لديه. ولذلك، فإنّ صدق الإنسان مع نفسه متطلب ضروريّ في العمليّـة الإبداعيّة. وعليه، يجب أن يتعلّم الأطفال في مرحلة مبكرة أهميـة أن يكونوا صادقين مـع أنفسهم. هنا، من الممكـن أن تخاطبهم بجمل على شاكلة: ربمـا تشعر أنّك بحاجة إلـى أن تخدعني، أو حتى تخـدع معلّميك، ولكن عليك الالتزام بالصّدق مع نفسك. أو: أنت الوحيد الذي يعرف فيما إذا كنت تبذل أقصى جهدك، وفيمـا إذا كنت راضيًا وسعيدًا بهـذا الجهد. أو: في لحظات الهـدوء، عندما تكون وحيدًا في سريرك، حـاور نفسك واكتشف فيمـا إذا كنت صادقًا معها. وكلمـا ساندت الأطفال بمساعدتهـم على مواجهـة أنفسهم بصدق دون خـوف، ودون الاهتمام برأيـك أو برأي الآخريـن، ساعدتهم أكثر على الثقة بأنفسهم. وكلما وثـق الطّفل بنفسه مع تقدّمه في العمر صـار أكثر استعـدادًا لاستخدام طريقتـه الفريدة في كلّ شـأن يتولاه. وهذا مـا يميّز الطّفل المبدع من غير المبدع. وبالواقـع، فإنّ عمليّة تعليم النّزاهـة الشّخصيّة تبدأ بكاملها عندما يكون الأطفال صغـارًا، وعندما تمتدحهم لقـول الصّدق بدلًا مـن معاقبتهم على صدقهم هـذا، أو عندما تتوقّـع منهم الارتقاء إلى مقولـة شكسبير الشهيرة: «الأهم مـن كلّ شيء أن تكون صادقًا مع نفسك».

4. **عـدم خوف الطّفل من عظمته**: لا يخاف الأطفال المبدعون من قدراتهم وتفوقهم، وهم يتلقون التشجيع على النّظر إلى أنفسهم بطرق غير مقيدة لهم أبدًا. إنّهم يتعلمون عدم الإيمـان بالأبطال، أو إعطاء أهمية للآخرين أكثر ممـا يعطونها لأنفسهم. إنّ الإبداع

والمجازفة صنوان. لذا، على الأطفال أن يعرفوا منذ الصّغر أنهم يملكون في داخلهم عبقرية وعظمة، وباستطاعتهم أن يجعلوا تلك السمات قابلة للتّفتّح. أما الكيفية التي ينظر بها الطّفل إلى إبطاله فأمر في غاية الأهميّة في عملية الإبداع؛ فإذا كان يعتقد أنه لن يصل أبدًا إلى مستوى شخصيّة رياضيّة أو موسيقيّة، أو أنّ أيّ بطل أكبر وأقوى منه وأفضل، فسوف يبدأ في الخوف من العظمة الكامنة في داخله. وهنا يأتي دورك كأب، في أن تجعل الأبطال يبدون للطفل عاديين، ولكنهم فريدون ومتميزون. والسّبب في ذلك أنّ مهمة تربية الأطفال الموهوبين تستند أساسًا إلى مساعدتهم على التّفكير في عظمتهم هم، لا أن يعيشوا حلم حياتهم من خلال إنجازات الآخرين حتى لو كانوا أبطالًا بنظرهم. كما تعني هذه التّربية مقابلة السياسيين، ومديري الشركات، والفنانين، والكتّاب، وأيّ شخص آخر يُعجبون به، ولكن شريطة النّظر إلى مثل هؤلاء الأشخاص على أنهم أمثلة لما يمكن أن يحققوه إذا ما اختاروا ذلك لأنفسهم. ولهذا، يتعيّن عليهم رؤية العظمة في داخلهم، والشّعور بالرغبة في تفجيرها وإظهارها إلى السّطح. كما أنّ عليهم اعتبار هذه النماذج مصابيح تُضاء لهم ليسيروا على هدي أنوارهم الدّاخليّة، لا أن يفترضوا بأنّ الآخرين يتفوقون عليهم فطريًّا.

ويجب أن يُسال الطّفل الذي يدرس عن المخترعين العظام عما يمكن أن يخترعه في يوم ما، كأن نسأله، مثلًا: ما الذي تريد اختراعه؟ هلّا اخترعت آلة تُقلّنا إلى كوكب آخر من خلال إعادة ترتيب جزيئياتنا؟، هل تعتقد إمكانيّة هذا؟ هل ترى أنك ستخترع في يوم ما شيئًا يخدم البشرية؟ إنّني على يقين أنّ باستطاعتك إنجاز أيّ مهمة، فأنت ذكيّ جدًّا، وذو أفكار نيّرة. إنّ الحديث مع اليافعين بهذه الطريقة يساعدهم على الشّعور بإمكانية أن يكونوا عظماء ومشهورين، وأنّ الذين سبقوهم لم يكونوا أشخاصًا خارقين، بل عاديين مثلهم تمامًا. وأنّهم ليسوا أبطالًا، بل قدوة يمكن الاحتذاء بهم لاكتشاف عظمتهم في أيّ مجال يختارونه.

5. **قوة الإدراك**: يتمتع الأفراد الموهوبون بوعي شديد تجاه أنفسهم، وهي ميزة لا يشاركهم فيها الأفراد المُصنّفون أنهم غير مبدعين. وفي كتابه «الشجاعة على الإبداع *The Courage to Create*» يقول الفيلسوف الوجودي الأمريكي رولو ماي Rollo May، 1909 – 1994: «الانغماس والانهماك والاستغراق مفردات

تستخدم عادة لوصف حالة العالم أو الفنان في أثناء تركيزه على عمله، أو حتى الطّفل وهو يلعب.

ومهما كان الوصف أو التسمية التي نطلقها عليه، فإنّ الإبداع الحقيقيّ يتّسم بحدّة الوعي أو الإدراك المتنامي، أو القدرات الإدراكيّة الموسّعة. ولذلك، فإنّ تدريب الأطفال على الجَلَدِ والمثابرة في المجال الذي يستهويهم ويثيرهم، وعلى الإحساس بالقوّة أو الرّقة العاطفيّة كما يقول رولو ماي، تعني الشيء ذاته عندما تربّي الأطفال ليكونوا واعين إبداعيًّا.

عندما تراقب الأطفال وهم يلعبون، ستجد أنهم منهمكون في ألعابهم واختراعاتهم الخياليّة التي يبتدعونها. ويمكن أن تدعم هذا الانهماك بسؤالهم عن قصصهم وشخوصها الخياليّين. إنّ تشجيعك لهم على تنفيذ تمثيليّات ومسرحيّات هزليّة، واختراع ألعاب جديدة، ومديحك لهم ولما يقومون به– سيؤدي إلى تنمية الإبداع لديهم، وسوف يظهر ذلك في محاولاتهم اللاحقة.

أما الأطفال الرّضّع، فحاول التّركيز معهم عندما يمسكون دمية، أو يحدّقون في شيء ما، وتحدث إليهم عن الشيء الذي ينظرون إليه، واثنِ عليهم عندما يتابعون حركة إصبعك بأعينهم، أو شاركهم في الضّحك بصوت عال. وعندما يصبحون أطفالًا دارجين تزداد حدّة طبيعة عقولهم المتسائلة حول كلّ شيء تقريبًا. وكلما زاد مديحك لتلك الحدّة العاطفية زادت مساعدتك لهم على التّفكير والفعل. وفي هذا السياق، يجب أن تشجعهم وتمتدحهم وهم يقضون ساعات طويلة في ترتيب لعبهم وإعادة ترتيبها، أو البحث عن الحشرات في أحد الحقول، حتى وإن كان ما يقومون به متعبًا لك. وكلما أعطيت الأطفال فرصة للتركيز دون مقاطعة أو تثبيط عزّزت لديهم مكوّنًا رئيسًا في عملية الإبداع.

إنّ الأطفال تحت سن البلوغ يتمتعون بحالة استثنائية من الخيال والحماسة والحدّة العاطفية. فعلى سبيل المثال، يمكنهم تشكيل نواد خاصة بهم، وتحديد الأدوار المختلفة لكلّ عضو. ويمكنهم كذلك قضاء ساعات ممتعة في كتابة نصّ لإحدى المسرحيات، مركزين على التفاصيل، ومستخدمين خيالهم لإنتاج عمل إبداعيّ. أما المراهقون فينهمكون في جهودهم الإبداعيّة، ويمكن أن يحولوا التقارير المدرسية أو الرحلات الميدانية إلى خبرة تعلّم. وهم يتحدثون إلى أصدقائهم دون توقف بكثير من الإثارة والحماسة غير المألوفة عند البالغين. كما أنهم يتخيلون بعض الأوضاع الافتراضيّة

ويناقشونها في ما بينهم. لذلك، كلما أزداد حماسهم، وكلما زاد تشجيعك لأعمالهم زاد تعليمك لهم بأنهم رائعون، وأنه يمكن الوثوق بهم باعتمادهم على أنفسهم لتحديد اهتماماتهم. إنّك عندما تعزّز هذه الحماسة ولا تنتقدها، حتى لو كانت بسيطة وساذجة، إنما تعزّز لديهم الاستقلالية في التّفكير، وهذا هو جوهر الإبداع؛ الاستقلاليّة في التّفكير بحماس وبأقصى ما يستطيعون.

6. **الحث على المثابرة والثّبات**: عندما ينهمك الأشخاص المبدعون في مشروع ما، فإنهم ينكبوّن عليه، ويلازمونه حتى استنفاد طاقتهم كلها فيه. ولذلك، فإنّ المثابرة والاستمرارية مكوّنان مهمّان في الإبداع، كأيّ من المكونات التي ذكرتها سابقًا. إنّ من شأن المثابرة والثبات تمكين الإنسان المبدع من تحقيق أي هدف في الحياة. وهذا الأمر ينطبق عليّ أكثر من أيّ شخص آخر عندما يتعلق بالنجاح الذي حققته في حياتي. إنّني أعرف أنّ هناك أشخاصًا أكثر موهبة وتعليمًا مني، ولكنني لم أقابل حتى الآن شخصا يتمتع بالمثابرة الصّلبة التي امتلكها في متابعة ما أريد. وأنا مؤمن بشدّة أن لا شيء في هذا العالم، سواء كان موهبة أو عبقرية أو تعليمًا، يمكن أن يحلّ مكان المثابرة والتّصميم. ويتعين عليك عدم نسيان هذا في محاولتك لوضع أطفالك على طريق الإبداع.

ويمكنك مساعدة أطفالك في التّعوّد على المثابرة والمواظبة، مع أنّ الرّغبة يجب أن تنبع من داخلهم. وعلّمهم عدم الاستسلام والتّخلّي عن متابعة الأشياء المهمة لهم، وأنّ المستحيل لا وجود له، وأن يروا قيمة المثابرة على حالة أو مشكلة حتى الوصول إلى حلّها. إنّ الأطفال بأمسّ الحاجة إلى شيء من التشجيع على المواظبة لحلّ مشكلة ما. وإذا تلقّوا هذا التشجيع منك، فسوف يبدؤون منذ الصّغر باتخاذ الإجراءات الفرديّة التي سيطبّقونها في حياتهم لتحقيق أهدافهم. وما أتحدث عنه هنا هو التشجيع المحفّز على المثابرة، كأن تقول للطفل: استمر في التّفكير لفكّ اللّغز، وابحث عن حلول بطرق غير معهودة بدلًا من محاولة يتيمة ثمّ التّوقّف والانسحاب. مثلًا، قل للطفل: إنني متأكد من قدرتك على إيجاد الحلّ، استمر في المحاولة، وحاول التّفكير بطرق جديدة للوصول إلى الحلّ. أو: سوف تكون لاعب كرة قدم مشهورًا، أنا متأكّد من ذلك. أو: هلمّ نتمرّن على التّحكّم في الكرة بالقدم اليسرى مدة نصف ساعة أخرى، إنّني على ثقة بأنك سوف تتقن هذه المهارة في مدة قصيرة. أو: إذا التحقت بدورة للتنس الأرضيّ فأنا أصرّ على مواظبتك حتى لو

أصبحت مملـة؛ إنّ تركيزك على اللعبة طوال فترة الدروس مهـم مثل أهمية امتلاك الموهبة التي لديك منها الكثير. إنّ هذا التّشجيع اللفظـيّ المتواصل أمر مهم في تطوير الإبداع عند الأطفال. وعندما يتعلّمون كيفية التّمسّك بمشروع مـا والانهماك فيه، ورفض التّخلّي عن أيّ مشـروع من اختيارهم، عندئـذٍ عليك مساعدتهم على المثابرة علـى الرّغم من أنهم قد يجدون الانسحاب طريقا أسهل من الاستمرار والمثابرة. وبعد اكتساب ميزة المثابرة هذه، فإنّهـم سيطبقونها لاحقًا على معظـم مشاريعهم في الحياة، وهذا هـو الوقت الذي يبدأ فيه شِرْيان الإبداع فـي التّدفّق. لقد اكتشفت أننـي إذا ثابرت على كتاباتـي، حتى وإن شعرت برغبة في التّوقّف، فإنّ التصاقي الحقيقي بها يساعدني على الكتابة بإبداع أكثر من أيّ وقت مضى. وكلما واصلت عملي أكثر شعرت بمزيد من الارتياح تجاه إنتاجي. وهكذا، سوف يخرج الإبداع من أطفالك بصورة طبيعية عندما يمارسون هذه المثابرة في حياتهم بانتظام. وما عليك إلا أن تشجعهم ليكونوا فاعلين. عندها، سوف يظهر الجانب الإبداعيّ تلقائيًا.

7. **استقلاليّة التّفكيـر**: أن يكون الطّفل مستقلًّا يعني أكثر من مجـرد عدم التصاقه الشديد بوالديـه. ولأنّ الأشخاص المبدعين يفكـرون بطرائق فرديّة تمكّنهـم من الإبداع، فإنهـم يدركون الكون بأصواتهم الدّاخليّة، ولا يصنفونـه ولا يجزّؤونه كي يفهموه. ويتوصّلـون إلى أنّ الكلّ مؤلّف مـن أضداد ظاهريّة، ويعرفـون أنّ الكون غير مقسم إلى مجرد ثنائيات؛ حيث اللّـون الأبيض في جانب واللّـون الأسود في جانب آخر. ولذلك، فهم يبحثون عن دمج الأضداد الظاهريّـة، واستبصار ما وراء التّفكير الشّائع عـادة. وقد عـرّف الفيلسوف والعالِـم النّفسيّ ويليام جيمـس (William James 1842 – 1910) العبقريـة أنها: «القدرة على إدراك الأشياء بطريقة غير مألوفة» وهذا ما يميّز المبدعين عن غيرهم؛ وهو التّفكير بطريقـة غير معهودة. إنّهم لا يكتفون بما اعتاد عليـه الآخرون، بل يتوقون إلـى معرفة المزيد، ويتساءلون عـن السّبب مرة تلو الأخـرى. فإذا قابلت تساؤلاتهـم بنظرة غاضبة أو بتجاهـل لأنّ لا وقت لديك لمثل هذه الأسئلة، فربما تقضي على أيّ رغبة في طرح أسئلة في المستقبل، مما سيضطرهم إلى البحث عن أجوبة من مصادر أخرى، أو يفقدهم الرّغبة في البحث عن المعرفة.

على البالغين تشجيع التّفكير الإبداعيّ، والتّفكير بطرق غير مُعتادة. وبناء على ذلك، علّم الأطفال عدم وَصْف الآخرين بتسميات وصفات، وذلـك بأن توضح لهم أنّ الناس جميعًا لديهم صفات كثيـرة متناقضة. وبيّن لهـم أنّ التّفكير في السّـؤال، والاعتراف بعدم معرفة

الجواب أفضل كثيرًا من محاولة تزييفه. وعلّمهم، أيضًا، استخدام عقولهم بدلًا من الاكتفاء بتلقي الإجابة ممن يسمّون أنفسهم خبراء، وكذلك استقصاء أي أمر لديهم شكّ نحوه، ورفض الطاعة العمياء في الحياة. ولأنّ التّفكير الإبداعيّ يعني طرح أسئلة طوال الوقت، فإنّ الأب أمام خيارين؛ التشجيع أو التّثبيط. وإذا فشل الأب في العثور على جواب لسؤال ابنه فباستطاعته التعاون معه للتوصل إلى جواب شافٍ. ويتعين على الأب أيضًا أن يعلّم أطفاله الشّكّ في كلّ شيء يُقال لهم عندما يقدّم بطريقة قاطعة وجازمة ومسلّم بها، والتّأكّد من مصادر أخرى. إنّ أكبر درس يمكن تعليمه للأطفال هو الإيمان بسلامة عقولهم، وهذا هو أحد الشّروط الأساسيّة لأسلوب الإنسان المبدع في الحياة.

إنّ الأطفال الصغار ربما يكرّرون الاستفهام (لماذا) في كلّ ساعة من ساعات النهار. لذا، على الوالدين تشجيع ذلك، والاستجابة له بعبارات وأسئلة، مثل: أنت رائع لأنّك حريص على معرفة ما لا تعرف. أو: برأيك، لِمَ لون السماء أزرق؟ أو: برأيك، أين توجد الجنة يا ترى؟ وبعبارة أخرى، يجب أن يشجّع الوالدان تساؤلات أبنائهم، وإعادة المشكلة إليهم لحلّها. وإذا لم يكن لديك جواب واضح عن سؤال ما فاعترف بعجزك، ثم استقصِ معرفة الجواب معهم كي يتعلموا مبكرًا كيفية شحذ عقولهم. وفي مراحل عمريّة لاحقة، اطلب إليهم إيجاد وجهات نظر متناقضة، ومن ثَمَّ التّوصّل إلى الحقيقة بأنفسهم. وكلما تعلّم الأطفال التّفكير بطريقة فضوليّة، وحبًّا بالاستطلاع، وبعقل منفتح، ودون إصدار أحكام مسبقة، تمكنوا من توظيف هذا التّفكير في التّوصّل إلى نظريات وحقائق علميّة. وهذا ما يشير إليه الإبداع؛ إنّه توصّل الشّخص إلى حقائق علمية بنفسه دون التّفكير بطرق مألوفة.

تلك هي المكونات السّبعة الرّئيسة للإبداع. وكلما ساعدت الأطفال أكثر على التّطوّر والنّموّ في كلّ بُعْد من هذه الأبعاد السّبعة، زادت احتمالات قولك: حقًّا، إنّ طفلي مبدع. وإذا كان طفلك مبدعًا، فإنّ السّبب في ذلك ليس لأنه يحبّ الفنون، والموسيقى، والأدب، أو الاختراع، وإنما لأنه يتعامل مع عالمه بطريقة مختلفة عن الطرق التي اعتادها معظم الناس. وقبل الدّخول في بعض التفاصيل الخاصة بمساعدة الأطفال على تنمية الإبداع لديهم، سوف أقدم تصوّري المُختصر لما يكون عليه الطّفل المبدع الحقيقي وهو يشق طريقه في الحياة. ولربما تندهش من بعض هذه الصفات، ومع ذلك فهي تبدو مشتركة بين أولئك الأطفال الذين يربّون على أن يكونوا مبدعين.

لمحة موجزة عن الأطفال المبدعين

الإبـداع منحى حياة؛ إنه اتجاه يقودنا إلى مزيد من تحقيـق الذّات؛ لأنه يسمح لنا بالتّعبير عن ذواتنا المتميّزة فـي مشاريعنا الحياتية كلّها. إنّ الطّفل المبدع ليس هو الذي يتعلّم كيفية استخـدام الحاسوب وهو في الرّابعة من عمره، ولا الذي يُبـدي ميلاً إلى الرسم أو استخدام الأدوات، ولا يعني الإبداع حالة ما قبل الشعور! بل إنّ كلّ طفل لديه قدرة إبداع كامنة. وما يحـدد إن كان الطّفل سيعيش حياة إبداعيّة هو مـدى سماحنا له بتحقيق تلك القدرة، وليس الجينات الوراثيّـة، أو الكروموسومات، أو تاريـخ العائلة، أو الوضع المالـيّ للأسرة؛ لأنّ الإبـداع يتخطى كلّ هذه العناصـر. ومع أنّ كثيراً من الأطفال قـد يترعرعون وهم يتمتعون بمواهـب وقدرات خاصة تفوق مواهـب وقدرات آبائهم، إلّا أنّ الطّفـل المبدع، عمومًا، هـو الطّفل الذي يتلقّى التّشجيع من الأشخاص المهمّين الذين يحتكّ بهم يوميًّا ليظل مبدعًا طوال حياته، وليس فقط تهيئة الفرصة له ليكون من المبدعين. وسوف تجد في الصفحات التالية عرضًا موجزًا لصفات هؤلاء الأطفال العاديين والطبيعيين، ولكنهم مبدعون جدًّا.

من صفات الأطفال المبدعين أنهم يعشقون اللعب واختراع ألعاب جديدة. وهم يجدون متعـة كبيرة في رسـم أدوار جديدة، وتوزيعها علـى شخصيات مُبتكرة يؤدّيهـا كلّ فرد في الفريق. إنّهـم يستمتعون بطرح أسئلة عن كلّ شيء، وحـبّ الاستطلاع لديهم لا حدود له. وهم يبدون، كذلك، اهتمامًا بـكلّ حدث يدور حولهم، ويُجازفـون بتجربة أشياء جديدة بدل الخوف من المجهول. إنّهم في قمة سعادتهـم عندما يُتركون على هواهم وتلقائيتهم، وعندما يُمارسـون طرقًا جديدة للمرح. إضافـة إلى أنّهم يستمتعون بـكلّ شيء مُعطى لهم ليلعبـوا به؛ فخرطـوم ريّ الحديقة نافـورة بالنسبة إليهـم، وعلبة طعام معدنيـة تصبح كرة يركلونها ويلهون بها. وأيّ بيت تحت الإنشاء فرصة لتجربة اكتشاف عالم من الأخشاب، والطّوب، وخلطـة الإسمنـت، وأدوات البناء الأخرى ومـوادّه. وهم يستفيـدون من كلّ شيء مستعمل يقع تحت أيديهم، يصنعون منـه سيوفًا ودمى وزينة. إنّ الأطفال المبدعين لا يحتاجـون إلى جهاز حاسوب أو مذياع أو تلفاز لتسليتهـم، بل قد يجدون التّسلية في غطاء سرير قديم، أو عصا، أو بعض الحجارة ليبنوا منها خيمة يلهون فيها.

الأطفـال المبدعون يسألون (لماذا) طوال الوقت؛ لـذا يجب تشجيعهم على ذلك. وهم يثقون بأنفسهـم لتحقيق نتاجات إيجابيّة مهما كان المشروع الـذي يعملون عليه. إنّك إذا

سألت طفلة مبدعة أو طفلاً مبدعًا إن كان باستطاعته قيادة دراجته الهوائية إلى قرية تبعد عن بيته أربعين ميلاً، فسوف يقول: طبعًا، سأحاول ذلك إن سمحت لي. ويُعرف عن الأطفال المبدعين أنهم يملكون في داخلهم قدرات كامنة لا حدود لها. كما أنّهم مستعدّون للمجازفة التي تُطلب إليهم دون خوف من الفشل. إنّهم يثقون بأنفسهم، وتنبع هذه الثقة من تصديهم لكلّ شيء يقومون به بطرق فريدة. فهم قد يحاولون القفز عن منصة الغطس من علوّ 30 قدمًا وهم مطمئنون، فما السبب؟ إنّه الثّقة بالنّفس والتّأكّد من النّجاح. وقد ترى ابن الثمانية عشر شهرًا يحاول القفز في الهواء على حافة السرير، ويكرّر المحاولة إلى أن ينجح في ذلك، إلى أن يُقال له أن ما يفعله خطر جدًّا، وأنّ عليه التّوقّف عن ذلك. وهم قادرون على العمل حتى ساعة متأخرة من الليل في إعداد عربة مع بناء منصّة لاحتفال مدرسيّ، وإضافة لمساتهم الفنية إليها، وسوف تجد أنهم يرتدون ملابس الكبار، في حين تعدّ الفتيات مستحضرات التجميل وهنّ يتحدثن إلى عرائسهن. وقد يعملون أيّ شيء يخطر في ذهنهم.

إنّ الأطفال المبدعين يطلقون العنان لأفكارهم دون قيود، ولا يكبتونها في صدورهم. ولأنهم لم يتعلموا الحذر والتّوجّس بعد، فإنّهم يجازفون بمخاطر بسيطة. كما يوجد لديهم حسّ داخليّ لا حدّ له لتوقع الذهاب في رحلة، أو قضاء يوم على الشاطئ، أو المشاركة في لعبة كرة قدم، أو حضور حفلة عيد ميلاد. إنهم يحبّون الحركة والانطلاق، ويكرهون الجلوس طوال حياتهم متفرجين. إنّهم يتميّزون بنفاد الصبر إذا كانوا ذاهبين إلى مكان يستهويهم، فتراهم يسألون: ألم نصل بعد؟ متى سنصل؟ هل وصلنا؟ وفي أوقات الانتظار، يخترعون ألعابا وأشياء مسلية لقضاء الوقت. إنّهم دائمو الحركة، وذوو عقول نشطة، ويتوقون إلى المشاركة في مسيرة الحياة لا الاكتفاء بدور المتفرّج ومشاهدتها وهي تنقضي.

وغالبًا ما يفضل الأطفال المبدعون التّعلّم والعمل وحدهم؛ لأنهم لا يحبّون المقاطعة بين كلّ دقيقة وأخرى. وعلى الأغلب، فإنّهم بنظر الآخرين غريبو الأطوار، ويمكن أن يصنّفوا خطأ على أنّهم من ذوي التحصيل المتدّني إن لم نتحداهم ونشجعهم. وفي كثير من الأحيان، يراهم الآخرون على أنهم مزعجون ومثيرو مشاكل بسبب أسئلتهم المتكرّرة. ولا يهدؤون أو يجلسون أو يفعلون كما يفعل غيرهم. ويمكن أن يطلق على الطّفل المبدع اسم مهرّج الصّفّ أو الانعزاليّ، ولكنّ هذه التّسميات غالبًا ما يطلقها الأشخاص غير المبدعين.

إنّ الأطفال المبدعين يبحثون عن تعدّد وجهات النّظر، ولا يكتفون بوجه نظر واحدة. وهم يحبّون الكتب، وتسحرهم صور الحيوانات وكلّ منظر يشاهدونه على التلفاز، وبخاصة الإعلانات. وتعدّ الموسيقى مصدر فرح لهم، وهم غالبًا ما يقلّدون الكلمات ويرقصون مع اللحن حتى وهم في مرحلة الرّضاعة. كما أنّهم يجدون الإثارة في كلّ شيء، ولا يحكمون على أيّ أمر بأنه سيئ أو جيد. إضافة إلى أنّهم يتابعون كلّ ما يدور خارج البيت من طيور، وديدان، وقطط، وكلاب، وأزهار، ورياح، ومطر، وثلج. ولا يبدو أنهم يتعبون من التّجوال في الطبيعة، في محاولة لاستكشاف كنهها، وابتكار تفسيراتهم لكون الأشياء على ما هي عليه. وهم يلهون بكلّ شيء. ولذلك، فإنّ أياديهم تظل متسخة في الأغلب، ومن الصعب المحافظة على نظافتهم وتهذيبهم. وهم يميلون إلى لعبة تركيب القطع، والمكعبات، والمتاهات، واللعب التي تحفّز عقولهم على التّفكير. وهم بارعون في حلّ الغموض إذا ما تُركوا وحدهم دون قوانين أو قيود. إنّهم يحبّون رسم أنفسهم، واختراع قصصهم، والاشتغال بالغراء، ومعجون اللصق، وقصاصات الورق والمواد اللامعة، وكلّ المواد والأدوات التي تعدّ من النّفايات. وفي الحقيقة أنّ سلة المهملات ليست كذلك بنظرهم؛ إنّها كنز.

إنّ الأطفال المبدعين يقرؤون كثيرًا لإعداد مشروع يستهويهم، ويرجعون إلى مصادر متنوعة عن الاكتشافات الجديدة. ومع ذلك، قد تُفاجأ بأنهم يرفضون أداء الواجبات الصّفيّة العاديّة، مثل الإجابة عن أسئلة نهاية الفصل، أو القيام بأشياء دنيويّة يفعلها الناس جميعًا بالطريقة ذاتها. وهم ميّالون إلى تحدّي الصعوبات وتعلّم أشياء جديدة، ولكنهم يفضّلون تطبيق إبداعاتهم على مشاريعهم. وعندما يُعاملون معاملة أيّ إنسان آخر، فهذا بنظرهم إهانة يشعرون إزاءها بالغضب والسخط. وعلى هذا، دع الطّفل المبدع يجرب ويطبق حلوله الخاصة به. وعندئذ، سوف تجد أمامك طفلاً سعيدًا متحمسًا. ولكن إذا طلبت إلى هذا الطّفل الجلوس معتدلًا، والإجابة عن أسئلة ما، والقيام بما يقوم به الآخرون، فستجد أنك أوقعت نفسك في مشكلة كبيرة لم تكن في الحسبان.

أما فيما يتعلق بانفعالاتهم، فإنّ الأطفال المبدعين كتاب مفتوح؛ لأنّ عواطفهم تظهر على وجوههم؛ فإذا كانوا غاضبين من الطريقة التي يُعاملون بها، فستعرف ذلك مباشرة. ومن الممكن أنّهم لا ينجحون في كتمان انفعالاتهم أو التّحكّم فيها وهم في عمر مبكر، ولذلك

ستجد أنهم يميلون إلى الصّراخ والصّياح وإثارة الفوضى. وبسبب عنادهم، لن تُفلح في تغيير سلوكاتهم لمجرد تلبية رغبتك هذه.

إنّهم حساسون، وغير مستعدين للتّظاهر وإخفاء مشاعرهم. لذا، تجد أنهم يظهرون غضبهم بسرعة، في الوقت نفسه الذي يعبرون فيه عن حبّهم بالسّرعة ذاتها. فالطّفلة المبدعة، مثلاً، قد تحتضنك، وتقوم بسلوكات عديدة رائعة لدرجة تجعلك تتساءل عمّا قمتَ به لتستحقّ هذا كلّه من هذه الطّفلة. ولكنها بعد قليل، قد ترخي يديها، وتتلفّظ بكلمات غاضبة، ثم تركض باكية إلى غرفتها. إنّ هؤلاء الأطفال فريدون في داخلهم! وعليك أن تتذكّر هذه الحقيقة طوال الوقت. إنّهم يفكّرون بطريقة فريدة ويتصرفون بطريقة فريدة كذلك. وهذه المشاعر أو الانفعالات هي، تمامًا، ما يجعلهم مبدعين. إنهم صادقون داخليًّا، ولذلك سوف ترى الدموع تنهمر من عيونهم عندما تُؤذى مشاعرهم، في حين سترى الفرح في عيونهم، وفي أيديهم، وفي قفزات أقدامهم، وفي ابتساماتهم العريضة، عندما يحسّون بالبهجة؛ وستقرأ على محياهم: أنا أحبّ الحياة.

الأطفال المبدعون غالبًا ما يوصفون بأنهم غريبو الأطوار، فهم يحبون قراءة الخرائط، والحلم بزيارة أماكن بعيدة، وكذلك انتقاء مفردات يستخدمها الكبار من القاموس حتى قبل أن يدركوا معانيها. وهم بارعون في ابتكار أطعمة ذات نكهات جديدة؛ إذ يمكن أن يخلطوا مكونات عديدة من الموز والخردل، والشّمّام لصنع شطيرة، أو إضافة بهارات «الكاري» والثوم في طريقة لم تعتدها من قبل. وهم يحبّون رواية الحكايات بعد سماع قراءة قصة بصوت عالٍ، ويمكن أن يجمح بهم الخيال إذا ما طلبت إليهم إعداد حبكة معقدة وقصص غريبة رائعة. وكلّ ما تحتاج إليه مثل هذه القصص مجرد إضافة لمسات لتصبح من أفضل قصص الأطفال بَيْعًا.

الأطفال المبدعون يحبون الأوضاع والحالات والمواقف الجديدة، ولا يتردّدون في تجربتها إلا إذا تعلّموا التّريّث والتّردّد. وهم لا ينجذبون إلى مجموعة أقران محدّدة. ولذلك تراهم منفتحين على المجموعات الفرعية في أحيائهم ومدارسهم، ولا يميزون بين الجنسين، وغير متحيّزين ولا متعصّبين. كما أنّهم يظهرون نضجًا فكريًّا في مرحلة المراهقة نظرًا لتعرفهم إلى كثير من الأفكار، واختلاطهم بكثير من الناس، وهذا هو الذي يُحصّنهم ضد التّعصّب. ونتيجة لذلك، تجدهم منفتحين على الأفكار والأشخاص دون قيود.

لقد تعلموا من الحياة عدم وجود أيّ شيء في الإنسان يستدعي كرهنا له، والخوف منه. صحيح أنّهم ذوو عقول راجحة، ولكنهم ليسوا مذعورين! إنّهم يعرفون أنّ معظم الناس يخافون ما يجهلون، أما هم، فقد توافرت لهم فرصة المعرفة نظرًا لشخصياتهم المنطلقة المحبة للاستطلاع. وهم مستعدون وتوّاقون لاستكشاف كلّ شيء. منذ نعومة أظفارهم حتى مرحلة المراهقة عاشقون للحياة، وطامحون إلى التّعلّم دون خوف من الفشل.

في بعض الأحيان، قد يجرّب الأطفال المبدعون أشياءً لا تقرّها، إلّا أنّ هذا التّجريب ضروريّ كي يقتنعوا بعدم جدوى هذه الأشياء في حياتهم. أجل، من المحتمل أنّ الطّفل المبدع قد يجرّب تدخين سيجارة، ولكن ليس من المحتمل أبدًا تجريب أن يكون عضوًا في عصابة. سوف تحاول الطّفلة المبدعة أو الطّفل المبدع أن يجرب شخصيًّا ما يُقال عن التّدخين، ولن يقتنع إلا إذا مرّ بالتجربة ذاتها. وعندما يجرّب التّدخين، ويجد أنّ طعمه كريه ومنفّر، أو أنه غير ملائم، أو خطر، وخلاف ذلك، فإنه سوف يقلع عنه. إنّهم يجربون ويتوصلون إلى أحكامهم حول ما هو صحيح وما هو خطأ بالنسبة إليهم بناء على التوجيه والمعلومات التي توفرها لهم، ولكن الأهم هو أن يكون ذلك بناء على حاجاتهم هم لاكتشافه بأنفسهم. وهم، بين هذا وذاك، قد يمارسون سلوكات لا ترضاها، وقد يخيّبون ظنك فيهم أحيانًا، كما قد يخيبون حتى أملهم في أنفسهم. ولكن يجب أن تُتاح لهم فرصة اكتشاف الحياة بأنفسهم، ولذلك فإنك لن تغيّر من الأمر شيئًا مهما كان حرصك على ذلك.

إنّ الأطفال المبدعين يتعلّمون من أخطائهم بسرعة كبيرة. وهم يعرفون العوائق التي تعترض إظهار ميلهم الإبداعيّ. ولن، أكرّر لن، يدمنوا على المخدرات، أو ينخرطوا في أعمال إجرامية بسيطة، أو الإساءة إلى سمعتهم؛ لأنهم سريعًا ما يدركون الخطأ الجسيم في الإدمان على المخدرات، أو الانقياد إلى شخص، لا تعنيه مصلحتهم، أن يسيطر على إرادتهم. وفي هذه المعركة بين الخير والشر، سوف ينتصر اندفاعهم الإبداعيّ للبقاء والسعادة، كما سيأتي أُكل الدروس الأخلاقية التي علّمتها لهم. ولكنك لن تستطيع منع شخص مبدع من معرفة سبب الضجة المثارة حول شيء ما كالإدمان على المخدرات مثلاً. لذا، دعه يكتشف ذلك بنفسه.

يحدّد الطّفل المبدع خياراته، ليس لأنه قد دُرّب على أقوال مثل: افعل الصواب. أو: الله يرانا. أو: علاماتك أهم منك. وإنما بناء على رغبته في تحسين ذاته، وتقديره للآخرين. ويهتم الأطفال المبدعون بالاختلافات الموجودة في هذا العالم، أكثر من اهتمامهم بمهام تحديد الخطأ والصواب. وهم لا يخشون أن يكونوا مختلفين عن الآخرين، بل يفتخرون بأنهم متميّزون، ولا يعنيهم رأي الآخرين بهم. وبالرّغم من أنهم حسّاسون جدًّا، ويتألمون إذا تعرضوا للتأنيب أو الانتقاد، إلا أنّهم يشعرون بكبرياء وأنفة في داخلهم؛ لكونهم على ما هم عليه وتميزّهم عمن سواهم.

يبدو الأطفال المبدعون أنهم لا يعرفون حدودًا لما يمكن أن يثير اهتمامهم، فهم مستعدّون لتجربة أيّ رياضة كانت؛ فتراهم متلهفين لركوب الدّرّاجة الهوائيّة في أسرع وقت ممكن. وهم لا يترددون في الحديث مع أيّ إنسان يستمع إليهم، كما أنهم لا يأبهون بالموضة، أو العلامات التجارية المعروفة. ويمكن أن تراهم مهندمين أو متسخين وفقًا لمزاجهم، ولكنهم لا يقلقون إن لم تكن قَصّة شعرهم حديثة، أو إن كانت ملابسهم لا تحمل اسم مصمم أزياء مشهور. وهم يشعرون بحبّ استطلاع تجاه الحياة. وغالبًا ما يطلبون من المعلمين والآباء أن يعيروهم الاهتمام والانتباه، وأن يزوّدوهم بإجابات وإيضاحات؛ فالمبدع لن يقبل تفسيراً مثل: لأنني قلت هكذا. ربما يسكته مثل هذا الرّد، ولكنه لن يسكت غضبه من معاملته بهذه الطريقة الفوقيّة من أناس أكبر منه عمرًا وجسمًا، ولا يفوقونه في شيء آخر غير هذا.

يتعلّم الأطفال المبدعون من أجل اكتساب المعلومات، ومتعة حلّ المشكلات والمسائل، وليس من أجل الجوائز والمكافآت الخارجيّة؛ لأنّ حاجاتهم النّفسيّة أهم من ذلك بكثير. وإذا ما انهمك الطّفل المبدع في مسألة معيّنة، فلن يجعله أيّ شيء تقوله أو تفعله يتخلّى عنها حتى يصل إلى حلّ يرتضيه هو. ولأنّهم يتصرّفون تلبية لإرضاء حاجاتهم الدّاخليّة، فإنّهم لا يعيرون انتباههم لنجوم تُلصق على دفاترهم من قبل معلميهم. وفي الحقيقة، هم يعرفون مدى تقدمهم، حتى وهم في الصفوف الأولى، وغالبًا ما يعتبرون لصق النجوم مهمة مطلوبة من المعلم أو المعلمة، وليس شيئًا مثيرًا بالنسبة إليهم. ويمكن للطفل المبدع أن يتعلّم من الحارس، أو البوّاب، أو السكرتيرة، أو عامل مطعم بالقدر الذي يتعلّمه من المعلم، كما أنه غالبًا ما يكوّن صداقات معهم. وينهمك الطّفل المبدع في مشاريعه

طوال الوقت، ومع أنه قد يراعي إيقاع منحى معلمه في التدريس، إلا أنه يستعين بالمصادر الخارجيّة، ويتقدّم بسرعته الخاصة دون أن يخبر أحداً بذلك.

الطّفل المبدع يتمتع بروح الدّعابة، وينجح في إضحاك الآخرين، ولكنه لا يلجأ إلى التّهريج لإخفاء أي إحساس بالخوف في بعض الأحيان، كما أنّه لا يستهزئ بغيره عندما يكون في مأمن بين رفاقه. وغالباً ما يكون الطّفل المبدع الفرد الوحيد في المجموعة الذي يحمي ظهر الغائب، أو الذي يضع حدًّا لاغتياب الآخرين والسّخرية منهم. ومع أنّ الفشل لا يشلّ حركته، فإنّه عادة ما يُدهش الآخرين بتجاوز فشله هذا، من خلال تدارك الخطأ وعدم تكراره مرة أخرى.

ومن سمات الأطفال المبدعين كذلك مساعدة الحيوانات الضالة. وهم يرون فضائل في كلّ إنسان لا البحث عن النواقص فيه. إنّهم يحبّون المنافسة، ولكنهم يؤكدون في ذلك على تفوقهم وليس على هزيمة الآخرين. كما أنّهم يحبّون مظهرهم الخارجيّ، ولا ينتقدون أنفسهم، ويحاولون تحسين هذا المظهر عندما يكبرون. زد على ذلك أنّهم لا يصنّفون أنفسهم استناداً إلى طول القامة أو قِصرها، ولا على لون البشرة فيما إذا كانت بيضاء أو داكنة، ولا على معيار البدانة أو النّحافة. وهم يحبّون تحدّي تقدير الذات، مع قناعتهم بأنّ قيمتهم لا تُحَدَّد من خلال رأي الآخرين بها، وإنما من جودة تصرفاتهم وشخصياتهم هم. وقد ترى الأطفال المبدعين وهم يستمتعون باللهو والتّسلية منفردين، من خلال القراءة، أو الجري، أو محاولة تعلّم العزف على آلة موسيقية، مع أنهم اجتماعيون ميّالون إلى حسن المعاشرة والمخالطة. إنّهم يحبّون الحياة بكلّ ما فيها، وهم مستعدون لتجربة أيّ شيء وكلّ شيء، ولكن فقط إذا وفّرنا لهم فرصة الاندماج في مشاريعهم. وقد يبدو الطّفل المبدع متمرّداً في نظرك ونظر السلطات المعنيّة. ولكن بصرف النّظر عن رأيك فيه، فإنّ شعلة الإبداع ستظل مشتعلة في داخله، وسوف يظل مهتدياً بأنواره الدّاخليّة هذه دائماً. إنّ الطّفل المبدع إنسان غامض؛ قد يسبب لك إزعاجات كثيرة، ولكنه سيجعلك فخوراً به.

لن يدهشني إذا فوجئت بأنّ أطفالك يقعون ضمن هذا الوصف للأطفال المبدعين. وكما قلت في بداية هذا الفصل، الأطفال جميعهم مبدعون، وأنّ الأمر عائد إليك باحتضان ميولهم الإبداعيّة الفطريّة وتشجيعها ورعايتها. وعندما تقرأ عن الطرق التقليديّة التي نكبت بها إبداع أطفالنا، وتنتقي بعض الإستراتيجيات التي اقترحتها لك لمساعدتك

على تنشئتهم ليكونوا مبدعين، تذكّر ما قاله الكاتب والروائي جورج نورمان دوغلاس (1868 – 1952) George Norman Douglas، وبخاصة إذا كنت تريدهم أن يكونوا مبدعين إلى أقصى حدّ ممكن: «إذا رغبت في معرفة ما يمكن أن يفعله الأطفال، فعليك التّوقّف عن إعطاء الأشياء لهم»[1].

بعض الطّرائق التّقليديّة التي نُعيق فيها، دون قصد، ميول الأطفال الإبداعيّة الفطريّة

من المؤكد أنّنا لا نقصد عرقلة التّطوّر الإبداعيّ عند أطفالنا. ولكننا، للأسف، نقوم بذلك من خلال بعض الطرق التي نتعامل بها معهم. وفيما يلي بعض أساليب التعامل الأكثر شيوعًا التي تُعرقل الإبداع:

- التّشجيع على الاعتماد عليك، وعدم السّماح له بتطبيق حلوله الفريدة على المشكلات.
- تربية الأطفال على أن يكونوا كغيرهم من الأطفال الآخرين؛ أي أن يكونوا إمّعات ومجرّد «أعضاء ضمن القطيع»، وأن يتحاشوا أن يكونوا مختلفين عن أقرانهم، وتشجيعهم على التّفكير بطرق تقليدية معهودة، ومقارنتهم مع كل إنسانٍ أو أيّ إنسان آخر عندما يتصرفون بسلوك غير مرغوب فيه.
- إطفاء سلوك طرح الأسئلة لديهم من خلال تجاهل إلحاحهم المتواصل لمعرفة السبب، أو الاستهانة بتساؤلاتهم لإظهار عدم اكتراثك بهذه الأسئلة.
- تعليمهم توخّي الحذر وعدم الإقدام على أيّ مخاطرة.
- عدم تخصيص وقت للتواصل معهم يوميًّا؛ كالقراءة لهم، ومناقشتهم والإجابة عن تساؤلاتهم.

---

1) ربما كان يعني بالأشياء الألعاب والدمى والأشياء المادية، لأن الطّفل إذا لم يجد هذه الأشياء المصنعة الجاهزة فإنه سوف يخترع ويجد طريقة للاستفادة من الأشياء المتوافرة له مثل العيدان، والحجارة وأدوات المطبخ وغيرها– المترجم

obeikandl.com

- تعليمهم الالتزام بالسّطر؛ أي مراعاة القوانين عندما يرسمون، أو يروون قصة ما، أو يلعبون لعبة، أو يفعلون أيّ شيء.
- معاقبتهم على قول الصّدق.
- غرس الاعتقاد لديهم بأنهم عاديون كالآخرين، وأنهم لا يتمتّعون بأيّ قدرات أو عبقرية وجعلهم يعتقدون بأنهم غير موهوبين.
- تثبيط الاستكشاف الإبداعيّ من خلال انتقاد جهودهم الإبداعيّة.
- ألّا تكون بالنسبة لهم المثال لشخص يتابع هواياته واهتماماته الإبداعيّة بحماس واندفاع.
- عدم الثّقة بآرائهم لأنك لا تزال تعتقد أنهم أصغر من أن يكون لهم وجهات نظر سليمة.
- المراقبة الدّائمة لتصرّفاتهم، والتّدخل في لعبهم من خلال فرض تعليمات وقوانين، وإبداء نصائح.
- التحدث إليهم بطريقة متعالية وإشعارهم بالدّونيّة.
- تزويدهم بعدد كبير من اللعب، والأدوات، ومشاهدة التلفاز وأشياء أخرى كثيرة لإبقائهم مشغولين ليس إلّا.
- تحمّل مسؤولية التّأكّد من أنهم لا يشعرون بالملل من خلال ابتكار أنشطة لتسليتهم وإلهائهم.
- عدم إعطائهم فرصة الاختلاء بأنفسهم عندما يرغبون في ذلك.
- اتخاذ موقف دائم بأنّ الأطفال مخطئون والبالغين مصيبون في أيّ نزاع قائم. أو اتخاذ موقف معارض لمواقفهم على نحو دائم. وعدم السّماح لهم باتخاذ قراراتهم بأنفسهم، ووضع حلول نيابة عنهم.
- إبقائهم داخل البيت وتحت المراقبة الدائمة.
- إجبارهم على الالتحاق بفرق رياضيّة في عمر مبكر، والاستمتاع بفكرة أنهم يتعلمون من أجل منافسة الآخرين.

obeikandi.com

- إجبارهم على الطّاعة دائمًا لإرضائك، بدل أن يطوّروا قواعد سلوك خاصة بهم، يلتزمون بها طوال حياتهم.
- تعليمهم العزوف عن اكتشاف الحياة لأنها سوف تلوثهم أو توقعهم في مشاكل.
- عدم إطراء اختراعاتهم الغريبة، أو حلولهم الفريدة.
- الانبهار بالتّعزيز الذي يحصلون عليه وليس للأنشطة بحدّ ذاتها: مرحى! لقد حصلت على نجمة! أو: عظيم! لقد فزت بالكأس. أو: رائع! لقد حصلت على أعلى علامة في صفك.
- إلصاق أوصاف بهم، مثل: أنت كبير، كن صلبًا، هذا عيب! الرجال لا يبكون! الفتيات لا يفعلن ما قمت به.

مكاسب حرمان الأطفال من تطوير إبداعاتهم

تذكر أنك تحقق بعض المكاسب النّفسيّة من كل شيء تقوم به في علاقتك مع أطفالك. حاول أن تتمعن في التفسيرات أدناه لترى إن كان بعضها ينطبق عليك. وبعد أن تدرك ما الذي تكسبه من إعاقة الإبداع عند أطفالك، فلربما تصبح أكثر ميلًا لاستخدام بعض الإستراتيجيات لمساعدتهم على أن يكونوا أكثر إبداعًا طوال كلّ مراحل نموهم. ويتعيّن عليك أولًا أن تفهم سبب تصرفك تجاه أطفالك، قبل أن تتمكن من استثمار الكيفية التي تحدث بها تغييرًا إيجابيًا. ومثلما يظل أطفالك يسألون (لماذا)؟ ويحاولون فهم كيفية القيام بالأشياء، عليك أيضًا أن تطرح السؤال الكبير؛ لماذا؟

وفيما يلي بعض المكاسب التي قد تجد الإجابات فيها:

- **قد تجد أنّ من السّهل كثيرًا تربية أطفالك بهذه الطريقة من أجل تقليص طموحاتهم الإبداعيّة.** وبلا شكّ، يصعب السّيطرة على الطّفل الذي يفعل الأشياء بطرق فريدة، وربما تكون هذه السّيطرة هي ما تسعى إليه في تعاملك مع أطفالك. فأنت إذا ما سمحت لهم أن يفكروا بحرّيّة ويتخذوا قراراتهم بأنفسهم، فسوف يبدؤون بتحدي بعض معتقداتك الراسخة. ولذلك، فإن جعلهم يطيعونك كما تأمرهم أسهل بكثير من التعامل مع كلّ واحد منهم على أنّه فرد مستقل ومتميّز.

- **يمكن أن يكون طرحُ الأسئلة طوال الوقت أمرًا مزعجًا، وبخاصة عندما يكرّر أطفالك ذوو السنوات الثلاث أو الأربع (لماذا) عن كلّ شيء يرونه.** ويمكن أن تريح نفسك عندما تطلب إليهم التّوقّف عن طرح أسئلة كثيرة، ولن تضطر إلى الاعتراف بأنك لا تعرف الإجابات عن معظم أسئلتهم.

- **ربما تعتقد أنّ تربية أطفال مبدعين مرهق لك جسديًّا.** الأطفال المبدعون مفعمون بالنشاط والطاقة، وهم يحبّون معرفة كلّ شيء وتجريب كلّ شيء أيضًا. وقد تجد أن السّماح لهم بمتابعة هواياتهم واهتماماتهم أمر مرهق بالنسبة إليك لأنه لا يبدو لك أنهم يتعبون أبدًا. ولذلك، بدلًا من السّماح لهم بمتابعة اهتماماتهم دونك، فربما يكون من الأفضل لك منعهم من المرح حولك. وهذا ينقذك من استجماع قوتك التي لا يبدو أنك تمتلكها، كما أنه يسكّنهم مؤقتًا. وبدلًا من تغيير نفسك إذا كنت لا تستطيع مجاراتهم، فإنّك تجبرهم على أن يهدؤوا ويوقفوا حبّ استطلاعهم. وقد توهم نفسك بأنك لا تجد الوقت الكافي لتنشئتهم على منحى الإبداع.

- **ربما تقول لنفسك: «لا أريد لأطفالي أن يكونوا غريبي الأطوار».** إنّ بإمكانهم أن يعيشوا مثلما عشت وعاش كثيرون غيري في هذا الحيّ. ربما يكون هذا الذي يسمونه الإبداع مفيدًا لذوي المواهب الموسيقيّة، ولكن ابني مضطر للعمل في مصنع ما، ولا حاجة إلى إشغال نفسه بهذا الغباء. بإمكانه تأجيل هذه الميول الإبداعيّة، وتعلّم كيفية اكتساب لقمة عيشه كما يفعل الآخرون في هذا العالم. إنّ مثل هذا الاتجاه يجعل من السهل عليك منع أطفالك من أن يكونوا مختلفين ومتميزين فيما يفعلون. وسوف يكون الأمر على ما يرام بالنسبة إليك إذا ما تكيّفوا وفعلوا مثلما يفعل الآخرون. وهذا هو المنطق القائل: ما يناسبني ويناسب كلّ شخص آخر يناسب أطفالي أيضًا.

- **ربما تكون قد أقنعت نفسك بأنّ تربية أطفالك على منحى الإبداع يعني الفوضويّة والتّسبّب في مشاكل إن لم يتم ضبطهم ليتلاءموا مع من حولهم.** إنّ مثل هذا النوع من المنطق قد ينجح معك في كبح الإبداع لديهم، ولكنه يتناقض مع حقيقة أنّ أيّ إنسان ينجح في إحداث أمر جديد في العالم أو يساهم في تحسينه، هو إنسان لا يفكر أو يتصرف كأيّ إنسان آخر. ولكنك قد تقول: لا أريد من ابني أن يغير العالم، وكلّ ما أريده هو أن يتعلم كيف يتدبّر أموره، وألّا يتحول إلى شخص مجنون مثل الذين يسمّون أنفسهم مبدعين

Open Kanoon .com

جميعهم. ولا شكّ في أنّ مثل هذا المنطق سوف يعطيك التبرير الذي تحتاج إليه لقمع الإبداع.

- **ربما تودّ المحافظة على اتكالية أطفالك عليك، مما يرضي غرورك بحاجتهم إليك، وهذا محفّز قويّ لإبعادهم عن القيام بأشياء على عاتقهم وبطرقهم الفريدة.** وكلما ازدادت حاجاتهم إليك للتفكير نيابة عنهم، وللحصول على إذن منك، وإنجاز أعمال لهم، زاد شعورك بأهميتك وإحساسك بأنك تقوم بعمل جيد. وربما تعتقد أيضًا أنك لو سمحت لهم بممارسة إبداعهم الفطريّ بحريّة، فمن المحتمل جدًّا أنهم سوف يتعرضون لمشاكل لا حصر لها. ومن شأن هذا التبرير أن يجعلك تبقيهم معتمدين عليك لأطول مدة ممكنة.
- **منع الأطفال من تنمية إبداعهم منذ الصّغر أقلّ خطورة بالنسبة إليك.** فإذا كنت تعرف ماذا يفعلون، وراقبتهم عن قرب، فسوف تبعدهم عن المشاكل، كما أنّك لن تقلق كثيرًا لأنك تعرف أين هم وماذا يفعلون. وسوف تشعر بطمأنينة لأنهم في مأمن. وكلما ترعرعوا على الطّاعة، كانت مهمة تربيتهم أسهل. وهذا ما تسعى إليه؛ أن تجعل هذه المهمة الكبيرة سهلة إلى أقصى درجة ممكنة.

لقد كانت هذه بعض المكاسب التي تطمح إليها لإبقاء إبداع طفلك عند حدّه الأدنى. ومع ذلك، إذا كنت تريد لأطفالك أن يحقّقوا مستوى عاليًا من الإبداع، والوصول إلى أقصى ما يستطيعون الوصول إليه، وأن يعيشوا حياة ناجحة وسعيدة، فعليك الاطّلاع على بعض الإستراتيجيات والأساليب المحددة التي قد تستخدمها في علاقاتك مع أطفالك مهما كانت أعمارهم حاليًا.

بعض الإستراتيجيّات النّموذجيّة لتربية الأطفال على نظام إبداعيّ منتظم

تذكّر وأنت تقرأ هذه الإستراتيجيات أنّي لا أتحدث عن إشراف مفرط في التّساهل، تسمح فيه للأطفال بالعربدة وسوء الخلق من خلال ما يدخل عقولهم من أفكار دون ضابط. إنّ الطّفل المبدع ليس مدللاً ولا مهملاً. وفي الواقع أنّ الإبداع يعني تعليم الأطفال نوعًا من ضبط الذّات حتى لا يكونوا مهذبين من أجل إرضائك، بل لأنّ هذه هي أفضل طريقة لإدارة

أنفسهم في مسيرة الحياة. وكلما ساعدت الأطفال أكثر على تحقيق حياة إبداعيّة، جعلتهم أكثر قدرة على التعامل مع أي قضية تعترض سبيلهم. والإبداع لا يعني التّهوّر وانعدام المسؤولية، بل يعني تطبيق أفكار شخصيّة تتّسم بالحداثة على أيّ مشكلة أو نشاط حياتيّ دون الاكتراث بما قد يفكر فيه الآخرون.

هناك اعتقاد غير صحيح لدى معظم الناس في أنّهم يتّخذون جمع المال معياراً للنجاح. وهذا منطق غير سليم؛ لأنّ ما يحدث على أرض الواقع عكس ذلك تماماً. إنّ الأشخاص الناجحين هم الذين يجمعون الأموال، ويعرفون كيف يكسبون لقمة عيشهم في أيّ وقت مهما كانت ظروفهم الاقتصادية أو أيّ ظروف أخرى. والأشخاص الناجحون يُضفون مواقفهم واتجاهاتهم الناجحة وشخصياتهم الفريدة على أيّ مشروع في الحياة. وإذا ما جرّدتهم من أموالهم، وبعثت بهم إلى مدينة أخرى، أو حتى إلى بلد أجنبي، فسوف تجدهم على الجانب الإيجابي من معادلة جمع الثروة.

ولا شكّ في أنّ الأشخاص الناجحين، دون استثناء، مبدعون. وكلما تعلّم الطّفل الاعتماد أكثر على نفسه، استطاع أن يعكس إبداعه على عمله. ولا تفكّر في أيّ لحظة من اللحظات أن على الإنسان خوض معترك الحياة من أجل جمع أموال طائلة، بل العكس هو الصحيح؛ إذ يجب أن يكون ناجحًا في داخله أولًا، ومن ثَـمَّ تأتي الأمور تلقائيًّا مهما كانت المشاريع التي يعمل عليها. ولهذا، جرّب بعض هذه المقترحات إن أردت رؤية الإبداع يتفتّح في نفوس أطفالك.

- **في كلّ يوم، حاول أن ترفع من منسوب صبرك مع أطفالك من أجل أن يتعلموا من منظورهم الخاص، بدلاً من الاعتماد عليك في التفكير والعمل نيابة عنهم.** إنّ الإبداع يعني أساسًا تفكير الطّفل بطريقته الفريدة. وأنا أقترح أن تعدّ إلى العشرة بصمت قبل أن تتدخل في أيّ شيء يعمله طفلك، ولا تنس أنّ الأطفال يحتاجون إلى إنجاز الأشياء بطريقتهم الخاصّة. فإذا رأيت طفل السنتين يركّب المكعبات بطريقة غير صحيحة، فاصبر بصمت، ولا تصححه، وانظر كيف سيهتدي إلى حلّ، حتى وإن احتاج إلى عدة دقائق، فهو على الأقل قد حصل على فرصة للقيام بذلك وحده. وعندما يحاول طفل الأربع سنوات ركوب دراجته الهواء من الخلف لا من الجانب، لا تحاول إرشاده إلى الطريقة الصحيحة إلا بعد أن يجرّب المحاولات كلّها، فربما اهتدى إلى طريقة فريدة تناسبه

أكثر من الطريقة المتعارف عليها. وعند محاولة طفلة تبلغ من العمر عشر سنوات ربط شريط حول علبة هدية، ثم يبدو لك أنه ليس على استقامة، فتريّث قليلا، ولا تتدخّل، ودعها تبتكر طريقة للتصميم، وامتدحها على جهودها. وحين يحاول طفل الأربعة عشر عامًا أن يكتب موضوعًا إنشائيًّا للمرة الأولى، فلا تساعده على اختيار الكلمات والعبارات المناسبة، بل شجعه على الكتابة بطريقته الخاصة. وعندما ينشد ابنك أو ابنتك من عمر سبعة عشر عامًا أو يغنيان بطريقة غير متناغمة، وصوت نشاز، فلا تنتقدهما أو تصححهما. وتذكر أنّ الإنشاد أو الغناء أفضل من الصمت خوفًا من أن يكون الصوت نشازًا وغير متناغم. لا تنجز الأعمال نيابة عن أطفالك، وتدّخل فقط عندما يفشلون في الحلّ ويشعرون بالإحباط، أو عندما يطلبون مساعدتك، واسألهم عندما يطلبون مساعدتك: ماذا تعتقد؟ ما رأيك؟ كيف يمكن فعل ذلك؟ وعندما تقول لهم ذلك، فإنّك تشعرهم بأنّك تقدّر آراءهم وحلولهم، وأنّ لهم الخيار لفعل الأشياء بطريقتهم حتى وإن كانت مختلفة عن طريقتك.

- **علّم أطفالك أن يكونوا متميزين، لا مخالفين لمجرد المخالفة والمعارضة.** إنّ كلّ إنسان يحاول أن يكون مختلفا عن الآخرين يظل مقيدًا بما يفعلونه. أما المبدع الحقيقي فإنّه يعتمد على الطرق الأكثر فاعلية بالنسبة إليه دون الاكتراث بما يفعله الآخرون أو يعتقدونه. وهذه بعض الأمثلة المتعارضة حول طرق تشجيع الإبداع وتشجيع التّطابق:

تشجيع التّطابق	تشجيع الإبداع
لِمَ لا تكن كالآخرين، وتسلّم واجبك في موعده؟	أنت في الواقع تضرّ نفسك لأنك تتأخر دائمًا في تسليم واجبك في موعده، وأنت وحدك من يتحمل العواقب.
شقيقتك لا تزعجني، لِمَ لا تكون مثلها؟	إنّك تميل إلى الجدال، وما يحيرني هو ما الذي تجنيه من وراء إثارة ذلك. هل يمكن أن تفكر في طريقة تجعلنا نعيش في انسجام دون شجار؟

obeikandl.com

لو نظرت إلى من حولك، فسوف تجد أنك جزء من أغلبية.	أفهم أنك لا تريد أن تكون نسخة عن الآخرين، وأنك تحب إنجاز المهام بطريقتك الخاصة. ولكن، هل طريقتك هذه مفيدة لك؟
لا أحد يشكو سواك.	ما الذي لا يعجبك؟
هكذا جرت العادة أن نفعل ذلك في عائلتنا.	ربما لديك طريقة أفضل لفعل ذلك. قل لي فكرتك لنجرّبها معًا.
هلّا تنجز المهام بالطريقة نفسها التي يقوم بها الآخرون.	أقدّر طريقتك بالتّشبّث بوجهة نظرك.

حاول التّخلّص من التّوجيهات التي تشجّع الطّفل على التّصرّف كما يتصرف الآخرون؛ فهناك طرق كثيرة لجعل الأطفال يعيدون النظر في تصرفاتهم لمعرفة إن كانت لصالحهم أو لا، بدلًا من التّوسّل إليهم ليكونوا أفرادا في مجموعات، ويفعلوا كما يفعل غيرهم. وتذكر: ما الذي يمكن أن يقدّموه إذا كانوا سيتصرفون مثلما الآخرين تمامًا؟

- **اتخذ موقفًا مناسبًا بخصوص إصرارهم على طرح الأسئلة وهم صغار، وكن صبورًا في الإجابة عنها لتشعرهم باهتمامك الصّادق نحوها**. وتذكر أنّ السؤال؛ لماذا؟ لا يتطلب جوابًا تفصيليًّا؛ فمثل هذا السؤال هو لجذب انتباهك إليهم، وشعورهم باهتمامك من خلال ردّك ليس إلّا. وتذكّر القصة القديمة عن الطّفل الذي سأل أمّه: من أين جاء؟ فأخذت تسرد عليه عملية الإنجاب بالتفصيل، وكانت قلقة خشية ألّا تكون قد أعطته الجواب الصحيح. وكانت المفاجأة لها عندما قال لها: أنا أعرف هذه الأشياء كلّها، ولكن المشكلة أنّ صديقي قال لي أنه جاء من مدينة كليفلاند، وأنا أتساءل: من أين جئت أنا؟ إنّ الأطفال ليسوا بحاجة إلى إيضاحات تفصيلية بقدر حاجاتهم إلى معرفة أنّ طرح الأسئلة شيء مثير، ويجب عدم قمعه. وقد كنت أردّ عليهم بعد سؤالهم لماذا؟ أربع أو خمس مرات: لماذا برأيك؟ أنا متأكد أنك تعرف الجواب الآن. إنّ من شأن هذا التعامل الطبيعيّ السّلس تشجيعهم على حبّ الاستطلاع. ولكن إذا تجاهلت

استفساراتهم وهم في الصّغر فإنهم سيحجمون عن طرح الأسئلة؛ وهذا ما يقمع العمليّة الإبداعية في مهدها.

- **تذكّر أن الإبداع والمخاطرة يسيران معًا**. وكما سبق وأن قلت في هذا الكتاب، يجب أن تكون طريقتنا في التعامل مع المجازفة عقلانيّة دائمًا، وأنه يجب اتخاذ كلّ ما يضمن سلامة الطّفل وحمايته من الأذى. ولكن؛ وما أدراك ما لكن، يجب ألّا نربّي الأطفال ليكونوا دائمًا على الجانب الآمن في كلّ شيء يقومون به. ولا شكّ في أنّ المخاطرة المعقولة تعدّ من مكونات الإبداع. أمّا الشّخص الذي لا يستطيع المخاطرة أو غير مستعدّ لها، فلن يكتسب منحى إبداعيًّا في مسيرة حياته. إنّ الأمان يعني أن نفعل ما يفعله كلّ إنسان آخر، أما الإقدام على المخاطرة فيعني تحدي الأوضاع القائمة عندما يكون من المناسب القيام بذلك. كما يعني الإقدام على المخاطرة تجربة شيء جديد، وأن يكون الإنسان مبتكرًا، وتجريبيًّا، ومتحديًّا للتقاليد القائمة، والغوص في عالم المجهول من فترة إلى أخرى. ويمكن للطّالب الصّغير أن يتعلم تأدية واجبه البيتيّ كما يفعل الآخرون من أقرانه، في حين أنّك تستطيع تشجيعه ليتحدث إلى المعلم عن تجربة طريقة جديدة لإكمال مشروع العلوم مثلًا. ويمكن للمراهق أن يتكيّف ويلتزم بالقوانين المألوفة كلها، حتى وإن كان لا معنى لها، أو أنه سيحاول مقاومتها ومن ثَمَّ تغييرها.

عندما كنت في قاعدة غوام البحريّة، قيل لي أنّ على الجنديّ عدم تحدّي السياسة العسكريّة المرعية أبدًا. ولكني وجدت أنّ من غير المعقول قبول التمييز الممارس على المواطنين من جزيرة غوام في المحيط الهادي الذين كانوا يعملون مع الحكومة الأمريكية. لقد كان يُسمح للمواطنين الأمريكيين القادمين من داخل الولايات المتحدة بالتّسوّق في الأسواق العسكرية، في حين لم يكن يُسمح بذلك للمواطنين الغواميين داكني البشرة، مع أنهم مواطنون أمريكيون. لقد شاركت في مسابقة لكتابة الرسائل، ونشرت رأيي في هذه القضيّة. وفي نهاية المطاف، وبعد أن تلقيت تهديدات بمحاكمتي عسكريًا، تغيّرت هذه السّياسة وتوقّف التّمييز. ولو لم أتلقَّ التّشجيع من والدتي بالدفاع عن رأيي، وانتقاد ما أراه ظلمًا، فلربما ظلت تلك السياسة مطبقة حتى الآن.

ويجب أن يعرف الطّفل مبكرًا أنه سوف يواجه بعض الانتكاسات والصعوبات نتيجة طرح رأيه والدفاع عنه، وأنّ الأمر سوف ينطوي دائمًا على بعض مخاطر. ومع ذلك، يجب تشجيع الأطفال، وتعزيز هذا السلوك بدلًا من أن نطلب إليهم الاسترخاء في أمان الأغلبية السالبة. وسوف يظهر الأطفال علامات على رغبتهم لتجربة أشياء جديدة، وللتفكير بطرقهم الخاصة، وتحدي القوانين التافهة، أو لاقتراح طرق جديدة لإنجاز الأعمال. وبصرف النّظر عن أعمارهم، حاول أن تشجعهم وتمتدحهم لأنهم مغامرون، وساعدهم كذلك على معرفة عواقب تصرفاتهم.

وخلاصة القول، إذا كنت تريد لأطفالك أن يكونوا مبدعين، فلا تحاول أن تجعلهم انقياديين وأفرادًا في قطيع، ومغرّدين على أنغام غيرهم.

- **خصّص مزيدًا من الوقت كلّ يوم للجلوس مع أطفالك والاستماع إليهم.** وإذا كان لديك أكثر من طفل، فامنح كلّ واحد منهم عدة دقائق. وإذا كانوا صغارًا جدًّا، فأرهم كتابًا مصوّرًا، وقلّب صفحاته لدقائق قليلة كلّ يوم، وتحدّث إليهم عن الأشياء التي يرونها في الكتاب. إنّ الأطفال المبدعين، بلا استثناء، يحبّون الكتب. لذا، فإنّ تعريفهم بالكتب يساعد على تطوير إبداعهم مبكرًا. أما بالنسبة إلى الأطفال الأكبر سنًّا، فيمكن أن تمسكهم من أيديهم، وتتمشى معهم، وتتحدث إليهم. وعندما يحين موعد النوم، اجلس معهم لدقائق قليلة، وتحدّث إليهم عما حدث معهم في ذلك اليوم، وعن برامجهم في اليوم التّالي. وتحدّث معهم عن هواياتهم، واهتماماتهم، وعواطفهم، ومخاوفهم، وقلقهم. ويمكن أن نبدأ بهذه الأسئلة القليلة بطريقة غير فضولية، ولا فوقيّة بحيث تشعرهم باهتمامك بهم وبأنك تولي أهمية وقيمة لأفكارهم المتميّزة الفريدة الإبداعيّة: ماذا تفعل في المدرسة طوال اليوم؟ ما شعورك عند تغيير الصفوف في منتصف النهار؟ ماذا تشعر عندما تركب الحافلة أو تمشي لتصل إلى المدرسة؟ مَن الأشخاص المفضلون لديك في المدرسة؟ لِمَ تحبهم إلى هذا الحدّ؟ أشعرتَ بالخوف عندما استدعاك المدير؟ ما رأيك في تعلّم عملية القسمة مبكرًا؟ هل هي صعبة عليك؟ أتعتقد أنّ أداءك جيد في المدرسة؟ هل تحبين اللّعب مع ليلى اليوم؟ لماذا تحبين لعبة الخروف أكثر من أيّ لعبة أخرى؟ هل ستتأرجحين غدًا مثلما فعلت هذا اليوم؟ ما الذي تحبّ فعله أكثر من أيّ شيء آخر؟ تبدو منزعجًا اليوم. هل كلّ شيء على ما يرام؟ أَقَلِقٌ لأنّ جدتك في المستشفى؟

تتلخّص الفكرة هنا في أن تكون معهم، وأن تصبح متعلمًا في حياتهم. دعهم يشاركونك حياتهم الفريدة هذه، ويعبّرون عن آرائهم، وأظهر لهم اهتمامك بهم. إنّ أسلوب أن تكون متعلّمًا هذا يجرّدك دور الشّخصيّة المتسلّطة الخبيرة في إسداء النصائح، ويمنحه لهم. وكلما شعروا بأهميتهم كبشر، وأنّهم متميزون في داخلهم، زاد احتمال أن يكرّسوا شخصياتهم المتميّزة التي يثقون بها بمشاريعهم الحياتيّة.

- **اسمح للأطفال أن يحققوا ذواتهم في أكثر جوانب حياتهم.** لا تشدّد عليهم وهم صغار جدًّا أن يراعوا الدّقّة في رسم الخطوط وهم يلوّنون. اسمح لهم أن يخربشوا ويكونوا رسّامين كما يحلو لهم؛ فالإبداع لا يعني التّرتيب، والهندام، واستجداء استحسان الآخرين. إنّه يعني أنهم في البداية يخربشون، ولكنهم بعد ذلك سيتقنون مهارة استخدام الألوان وتشكيلها؛ لذا، لا يمكن الحكم عليهم بناء على محاولاتهم الفنية الأولى. إنّ المهم هو تهيئة الفرصة للتعبير عن أنفسهم بأي صورة يريدونها. أما عملية التقويم والنقد الحقيقيّ (التي هي ليست أكثر من مجرد مقارنة عملهم بأداءات أقرانهم، أو بالمعايير التي وضعها آخرون) فتؤدي إلى كبت الإبداع وعرقلته. ويجب أن نتذكر أنّ الإبداع يعني السّماح للأطفال بالابتكار من منظورهم الخاص، وأن يكونوا أحرارًا في استخدام طرقهم الخاصة في أعمالهم الإبداعيّة. ولا تعدّ المحاولات الأولى مؤشرًا على موهبة فنيّة مستقبليّة، أو دليلا على أنهم سوف يحترفون الرسم في مرحلة لاحقة من حياتهم أم لا. وإذا ما شعر الطّفل بأنه مقيّد، أو مصنّف، فسوف تتوقف محاولاته من أجل إرضاء أبويه، وإنجاز الأعمال بطريقتهما للحصول على رضاهما.

الأفراد المبدعون لا يستقرون أبدًا ضمن خطوط الحياة. ولأنهم يفعلون الأشياء بطرائقهم الخاصة فإنهم يبتكرون. ولذلك، فإنهم يتجاوزون الحدود التي تقيد حرية الإنسان العادي، ويرسمون لأنفسهم الصورة الإبداعيّة كما يتخيلونها. ويجب أن يعرف الأطفال في عمر مبكر أنّك من خلال الثناء والمديح الذي تمطرهم به، لا تستحسن ما يقومون به فحسب، بل إنه رائع ومثير بحدّ ذاته. وهذا ما ينطبق على أنشطتهم جميعها. وعليه، لا تقيدهم بقوانين وهم يلعبون، بل اسمح لهم بتحديد قوانينهم الخاصة، والتّوصّل بأنفسهم إلى اتفاقات مع أصدقائهم وأشقائهم، وشجعهم على التعبير عن أفكارهم كتابة، وألّا يكتبوا بالطريقة التقليدية التي عفا عليها الزمن. وربما يعانون نتيجة لذلك من بعض المتاعب، ومن ذلك عدم تقبّل الآخرين لأسلوبهم، أو انخفاض معدل علاماتهم. ولكن الكاتب الذي

يستطيع أن يكـون مبدعًا بكلماته، والذي يضفـي حياة على عباراته بطريقة لـم يسبق إليها أحد من قبل، هو الذي سيحدث الفرق والتغير في نهاية المطاف. وبالتأكيد أنه يتعين عليهم الالتزام بالقوانين في اللعب، والكتابـة، والرسم، والعمل، وكلّ شيء آخر في الحياة. ولكن عليهـم ألا يعتقدوا أبـدًا أن تلك القوانين هي التـي ستملي عليهم ما يفعلـون أو ما يمكن أن يصلوا إليه.

لا يقبل الفـرد المبدع أن تقيده القوانين التي تُطبّق على الآخريـن، وهذا ما يجعله شخصًا استثنائيًا. وكلما سمحت للأطفال بتحـدّي القوانين وتجربة طرق جديدة وأساليب خاصة بهم، عزّزت لديهم تلك الرّوح الإبداعيّة التي أكتب عنها في هذا الفصل.

لا شكّ في أن بعض العقبات سوف تعترض من اختـاروا طريقهم بأنفسهم. ولكن، كلما زدنا مـن الثناء على هذا الاختيار وتشجيعه منذ اللحظـات الأولى، علّمناهم عدم الاكتراث برفض الآخرين وأن لا يجعلوا وجهات نظر هـؤلاء تعيق حركتهم. عندئذٍ، سيتعلّمون الثّقة بأنفسهـم، وأن يكونوا فاعليـن في هذه الحيـاة لا ناقدين؛ هناك آلاف التماثيـل التي تخلّد المبدعين فـي التخصصات والمجالات جميعها، ولكن لم أر حتـى الآن تمثالاً يخلّد ناقدًا واحدًا.

- **يجـب أن يتربى الأطفال علـى أصوات قدراتهـم وهي ترنّ فـي عقولهـم.** إنّ العائق الحقيقيّ الوحيد أمام انطلاق الأطفال المبدعين يكمـن داخل أنفسهم، وهم يحتاجون إلى ثقة كبيرة في قدراتهم من أجل تحقيق أيّ هدف يختارونه. والطريقة الوحيدة لمساعدتهم على عـدم الخوف مـن قدراتهم وقوّتهم هـي أن نمنحهـم مزيدًا من التعزيـز لتعظيم إمكاناتهم. ولكن عليهم الإيمان بعبقريتهم، في حين عليك مساعدتهم على رؤية هذه القدرة الكامنة في داخلهم. وهـذه أمثلة عدة ليتعامل الوالدان مع أطفالهم وتشجيعهم على تجربة هذه القدرة أو الخوف منها:

الخوف من قدرتهم	الإيمان بقدرتهم
أنت لم تبذل الجهـد الكافي الذي يخوّلك القبول في كليـة التمريض. اقترح أن تبحث عن شيء آخر.	إنّـك قـادر على تحقيـق مـا تصبـو إليه لو صمّمت على ذلك. أعـرف أنّ الموضوع صعب، ولكنك أهل لذلك إن أردت.

إنّ علامات اختبار الاستعداد المدرسي متدنية، ولا تؤهلك للالتحاق بالجامعة.	علامات اختبار الاستعداد المدرسي لا تعني لي شيئًا؛ لأنني على يقين من قدرتك على التّفوّق في أيّ موضوع. قدّم الاختبار لأكثر من مرة إذا احتجت إلى ذلك، وأنا أعرف أنك سوف تحقق ما تريد.
أنت صغير على المشاركة في سباق 10كم. أعد المحاولة عندما تكون أكبر قليلًا.	إذا كنت تعتقد أنك تستطيع أن تشارك في سباق 10كم، وأنك مستعد للتدرب، فما عليك إلا أن تحاول. لن أفاجأ بما يمكن أن تفعله إذا ما صممت فعلًا عليه.
أشكّ في قدرتك على اكتشاف علاج لمرض السرطان.	إذا كان هناك من سيكتشف دواء للسرطان، فأنا متأكد أنك ستكون ذلك الشخص. أنت، في الحقيقة، ذكي ومثابر، وأنا أثق بك ثقة لا حدود لها.
شخصيتك لا تؤهلك لتكون صحفيًّا، ولكن يمكنك أن تعمل في مجال الإعلان.	إن إنسانًا بمثل شخصيتك وثقافتك يمكن أن يكون صحفيًّا ناجحًا. لا تتوقّف عن المحاولة إن كانت هذه رغبتك.
التمثيل مهنة صعبة جدًّا، ولن تحصل على دور لأنّ هناك مئات الممثلين العاطلين عن العمل.	إذا كنت تحب التمثيل، فعليك أن تخوض هذه التجربة، واعتقد أنك سوف تنجح في ذلك.

- **إذا خُيّرت بين المدح والانتقاد، فاختر المدح ومارسه كثيرًا**. ربما تكون قد توصلت من خلال حديثي عن قيمة المديح في هذا الكتاب إلى إدراك أهمية علاقته بالإبداع. وكلّما أثنيت على أطفالك أكثر، كان ذلك أفضل، وأبقيت على جذوة الإبداع متّقدة في نفوسهم. وعليك إسماع طفلتك الصغيرة عبارة «ما أجملك!» من حين إلى آخر.

لقد أثبتت الدراسات أنّ الأطفال حديثي الولادة يستجيبون للمديح والحنان، وسوف يستنبطون شعوراً بأهميتهم وقيمتهم كلما كبروا، مما يشجع على الاستكشاف الإبداعيّ طوال حياتهم.

وعندما يعرض أبناؤك عليك رسماً أو موضوعاً إنشائيًّا، فكّر في المديح قبل الانتقاد، كأن تقول مثلاً: أنتِ رائعة يا ناديا؛ فمعظم الأطفال في سنّك لا يفكرون حتى في كتابة فقرة واحدة، في حين أنّك قمت بكتابة موضوع متكامل. هذا شيء رائع بحق. أنتِ تعبّرين عن نفسك بصورة جيدة الآن، واعتقد أنك سوف تبدعين أكثر في مراحل لاحقة. هل ترغبين بإعطائك اقتراحات عن أفكار أخرى يمكن الاستفادة منها؟ امتدحها أولاً، ثم اسألها إن كانت تريد المساعدة في إجراء تعديلات هنا وهناك، بدلاً من تحديد الكلمات التي أخطأت في كتابتها.

تذكّر أنّ المديح يشجع الأطفال على متابعة محاولاتهم الإبداعيّة، ويزيد من ثقتهم في قدراتهم، أمّا الانتقاد فإنّه لا يؤدي إلا إلى تثبيطهم. ولهذا، عليك تحاشي الانتقاد إلى أقصى حدّ ممكن، وعليك أن تسألهم أولاً إن كانوا يريدون هذا أم لا. إنّني أذكر معلمة الموسيقى عندما قالت لي وأنا في الصف الثالث: ما رأيك أن تقرأ كلمات تقديم العرض أمام أولياء الأمور بدلاً من المشاركة مع فرقة الموسيقى؛ فأنت لا تملك موهبة موسيقية، ولا أريدك أن تفسد الحفل الموسيقي. ولا تزال تلك الكلمات ترنّ في أذنيّ رغم مرور هذه السنوات الطويلة، وقد تخلّيت فعليًّا عن أيّ اهتمام لتعلّم الموسيقى منذ ذلك الحين. ومع أنّ معلمتي ربما كانت محقة بخصوص القدرات الموسيقية لطالب في الصف الثالث، ولكن لا أحد يعرف ما سيحدث في حياة الإنسان لاحقًا؟ لقد كان المخترع الأمريكي توماس إديسون يعاني مشكلة في السمع منذ طفولته، ولكنه صنع مشغلاً للأسطوانات الموسيقية في مرحلة لاحقة من حياته. أمّا صاحب النظرية النسبية في الفيزياء آلبرت آينشتاين فقد تأخّر في النّطق حتى السنة الرابعة من عمره، ولكن كان لديه الكثير ليقوله في سنّ الرشد، وجعل العالم كلّه يستمع إليه.

إن قدرة الطّفل الإبداعيّة غير محدودة عمليًّا، ولكنه قد يتخلى إلى الأبد عن اهتمامه بمجال من المجالات إذا ما تعرض للانتقاد. وحتى لو لم تظهر على الطّفل أيّ علامات موهبة في مجال من المجالات، إلا أنّ عليك إيلاء أيّ شيء يقوم به، ويطلب إليك مشاهدته،

اهتمامًا كبيـرًا، وأن تمتدحه كثيرًا إذا كنت راغبًا في متابعـة مساعيه الإبداعيّة طوال حياته. يضاف إلى ذلـك أنّ الإبداع لا يمكن تصنيفه، فهو اتجاه ومنحنـى من الحياة، يتعيّن عليك تعزيزه إلى أقصى قدر ممكن.

- **أكنـت أبا أو أمًّا، لقد ذكّرتك في كلّ جزء من أجزاء هـذا الكتاب بضرورة أن تكون مثالًا حيًّا أمام أطفالك لشخص يستمتع بمساعيه الإبداعيّة.** اظهري لهم، كأمّ مثلًا، أن ليس من الضروري دائمًا التّقيّد بوصفات إعداد الطعام، وأن بإمكانـك إضافة لمستك الإبداعيّة الخاصة عندما تعدّين وجبة الطعام، أو عندما تمارسيـن لعبة المطاردة في الشارع. وباستطاعة الأمّ أو الأب ارتـداء الملابس التي تستهويهما، وليـس الملابس التي تحمل علامات تجاريـة، أو أسماء مصممين مشهوريـن، وأن يقولا لأطفالهما أنّ مـا يهم هو الشّعور بالرّاحة في هذا اللباس، لا أن يقلّدوا الآخرين في ذلك.

وبإمكانكما، كوالديـن، أن تشجعا أبناءكما علـى أعمال إبداعيّة، وتعلّـم أشياء جديدة، مثل المشاركة في طلاء البيـت، واتّخاذ قراراتهم بأنفسهم، وألّا يجعلـوا آراء الآخرين قيدًا لتصرّفاتهم وكيفية عيشهم.

- **إن كنـت تريد لأطفالك السّير علـى درب الإبداع فـلا تعاملهم وكأنّهم لا يزالـون صغارًا.** فإن تحدثـت إليهم دون مبـالاة، وقللت من شأنهـم، وعاملتهم كما لو كانـوا غير قادرين علـى فهم حديث الكبار، فإنك فـي الحقيقة تعلّمهم الشّكّ فـي أنفسهم. ومثل هؤلاء الأطفال لن يقدموا على محاولات تتطلب شخصيّـة متميّزة. فإذا كان الطّفل يتحدث بطريقة لا يحسن فيها استخدام اللغة، فلا تحاول أن تكرر أسلوبه في الحديث مباشرة، وتحـدث إليهم على أنّهم أفـراد ناضجون طوال حياتهـم، فباستطاعتهم استيعاب أيّ شـيء تقوله بطريقة طبيعيـة وودودة وهزلية، وليسوا بحاجة إلـى سماع كلمات مثل: «الواوا والنونو» وغيرهما.

وإضافـة إلى ذلـك، تجنّب التّحـدّث إليهم بتعـالٍ. إنّني مـا زلت أذكر معلمـة المرحلة الابتدائيـة التي كانت تتحدث إلينا دائمًا في غرفة الصّفّ بهـذه الطريقة التي كانت تحبطنا، وتقتل الحماسـة فينا. وقد ناقشنا طريقتهـا السّخيفة في الحديث، وكنـا نشعر بالدّونيّة في وجودها. ولذلـك، كلما تحدثت إلى الأطفـال بنظرة مهينة جعلتهم يشعـرون بالإحباط، وبأنهم عاجزين وغير راشدين. وهكذا، فـإنّ أيّ مراهق أو مراهقة سوف يشعر بالامتعاض

إذا ما خاطبناه كما لو أنه طفل لا حول له ولا قوة، وسنجعله يفقد الثقة بنفسه. وهذه الحقيقة تنطبق أيضًا على الأطفال من عمر 6 – 12 سنة، فهم أيضًا يريدون أن يشعروا بأنهم راشدون، ناضجون، مهمون، ومبدعون. وإذا خاطبتهم كما لو أنهم أغبياء غير قادرين على فهم لغة البالغين، فإنهم سوف ينطوون على أنفسهم ويبتعدون عنك. ولهذا، استخدم نبرة اللغة ذاتها مع أبنائك طوال حياتهم كما لو كنت تحادث صديقًا لك. عندئذ، ستفتح المجال أمام تطورهم الإبداعيّ.

- **إذا كنت ترغب في مساعدة أطفالك على التّطوّر إبداعيًّا، فامنحهم فرصة اكتشاف العالم دون أن تملأ البيت بالدمى والألعاب**. فإذا اشتريت لهم لعبة في كلّ مناسبة، فأنّى لهم تعلّم استخدام خيالهم الإبداعيّ؟ اسمح لهم أن يبنوا ناديهم الرّياضيّ بأنفسهم بدلًا من أن تشتري لهم واحدًا مصنوعًا من البلاستيك زهيد الثّمن. دعهم يشعرون بمتعة صنع سيوفهم بأنفسهم بدلًا من شراء لعب تعمل بالبطارية، وترسل أشعة إلكترونيّة للقضاء على أعدائهم الافتراضيين. اسمح لهم باختراع ألعابهم بدلًا من أن تشتري لهم ألعابًا يملّونها سريعًا. وبعبارة أخرى، امنح أطفالك فرصة استخدام عبقريتهم الإبداعيّة بدلًا من تزويدها لهم مع تحيات المُصَنِّع. وفي أثناء قيامك بكلّ ما ذُكر، حاول إغلاق التلفاز ساعات عدة يوميًّا، وشجع الأطفال على الخروج من البيت، والتّعرّف إلى العالم الواقعيّ. أمّا إذا انشغلوا على مدار فراغهم بالأدوات والتسلية المبرمجة، فستتبلّد حواسهم، ويتعلّمون الاعتماد على أشخاص أو أشياء خارجيّة تجلب البهجة والسّرور إلى نفوسهم. إنّ الطّفل الذي يشاهد التّلفاز يرى بأنّه يطرد عنه الملل، في حين أنّه يسبب له الملل. إنّ ما يحتاج إليه الطفل المبدع هو أن يتعلم كيف يلبّي احتياجاته دون إحساس بالسأم. وبالتأكيد أنّ مشاهدة التلفاز بصورة معقولة ليس ضارًا، ولكن إذا عرفنا أنّ الطّفل الأمريكي العادي يقضي وقتًا في مشاهدة الإعلانات التجارية يزيد أربع مرات على الوقت الذي يقضيه في المشاريع الإبداعيّة، فربما يجعلك ذلك أن تفكّر بالسّماح لأطفالك بالاعتماد على أنفسهم بصورة أكثر. وبالرّغم من أنّ الألعاب أشياء رائعة، إلا أنها ليست مصدر الإبداع، بل إنّ قدرة الطّفل على اختراع لعبة بنفسه هي المؤشر الحقيقيّ على الطّفل المبدع. أمّا أنت، فحاول أن تكون مبدعًا عندما تشتري الهدايا لأطفالك، كأن تشتري لهم الألواح والمكعبات لبناء قصورهم، وأدوات الفن لرسم أشكالٍ مبتكرة، أو شراء الكتب والألغاز التي تحفّز ميولهم الإبداعيّة. وبهذا،

فإنــك تحدث تغيّرًا في إبداع الطّفل من خلال قراراتك الشّرائيّة. وعليك والحالة هذه توظيف إبداعك إلى أقصى حدّ عندما تتسوّق لهم.

- **لا أعـرف، قلهـا دون خـوف ولا وجل.** والأهم من هـذا أن تعلّم أطفالـك أن يقولوا عند الضرورة: لا أعرف، ولكني سوف أحاول أن أعرف. عندما يكون الأطفال في موقف يتطلب منهــم الإجابة عن أسئلة حتى وإن كانوا يجهلــون إجاباتها، فإنّهم يأخذون في اختراع الإجابات وممارسة خداع الذات. ولذلك، علّمهم قيمة أن يقولوا: لا أعرف. فهذا من شأنه دفعهم إلى البحث عن المعرفة والمعلومة. أمّا الأشخاص غير المبدعين فسـوف يكذبون ويخترعون حكاية طويلـة ليغطوا بها على جهلهــم. وكلما سمعك أطفالك مردّدا لهذه العبارة قلّ الضّغط عليهم لإعطاء الجواب الصحيح دائمًا، وبذلك يقتربون أكثر فأكثر صوب النّهج الإبداعيّ في حياتهم.
- **امنـح الأطفال فرصة كافيـة لاكتشاف الأشياء وحـلّ المشكلات في الحيـاة بأنفسهم؛ فليست مسؤوليتك ملء فراغهم دائمًا.** إنّ مهمتك هي مساعدتهم على فهم الأشياء بأنفسهم قدر المستطـاع. ومن المؤكّد أنّك لا تريـد أن تكون شخصًا يتكّل أبنـاؤه عليه، بل الأخذ بيدهم حتى ينجحوا في التّخلّص مـن الاتكالية. فإذا قالوا لك إنهم يشعرون بالضّجر، فاحـذر أن تنطلي عليك هذه الحيلة، لتحمّلك مسؤوليـة تسليتهم والترفيه عنهم. وقل لهم صراحة إنّك غير ملزم بملء فراغهم بأنشطـة مثيرة. وإذا نجحت في عدم الوقوع في المصيدة، فسوف تجد أنهم سيبدؤون فـي ابتداع أمر ما لإشغال فراغهم، وتطوير إبداعاتهم.

وأنا شخصيًّا لم أشعر إطلاقًا أنّي مضطر للعب مع أطفالي. ومع أنني أحبّ ذلك، إلا أنّ هذا يجب أن يكون خيار الطرفين معًا. لم أقتنـع يومًا في الجلوس في البيت ولعب «الدّاما»، مع أنّ زوجتي تقوم بذلك. ولهذا، فهم يلعبون معهـا الألعاب المنزلية الدّاخليّة كلّها ويتمتعون بذلـك. أمّا أنا فأحبّ أن أتصـارع مع أطفالي، وأن ألعب الكرة معهــم، وأن نقرأ، أو نركب الدّرّاجات الهوائيّة، أو الذهاب إلى المطعم معًا. ولكني لا أشعر بأنّ من اللازم عليّ ممارسة ألعـاب لا تستهويني لإرضائهم، كمـا أنهم لا يفكرون أبـدًا في تنفيذ أمـور يكرهونها من أجلـي. فإذا كانوا لا يحبّون شيئًا ما فإنهم يقولـون بصراحة إنّ هذا لا يعنيهم، ثم يمضون في حال سبيلهم. لذا، فلي الحقّ نفسه الذي لهم.

يجب أن تجلب الأنشطة التّرفيهيّة التي تمارسها مع أطفالك البهجة والسّرور لكم جميعًا. فإذا وددت اللعب معهم، ولكنك لا تحبّ السباحة أو المشي، فعليك اقتراح بدائل يستمتع الجميع بها. وإن أصرّوا على فعل ما يريدونه هم فشجعهم على ذلك، ولكن لا تجعلهم يجبرونك على فعل شيء لا تحبّه. ولا تتردّد في حثّهم على ابتكار طرق إبداعية لملء أوقات فراغهم بأنشطة تطرد السأم عنهم بأنفسهم، لا أن ينظروا إليك بصفتك المصدر الوحيد لتسليتهم في الحياة.

- **امنح الأطفال حريتهم في الابتكار والتّفكير والتّأمّل، أو تنفيذ أيّ شيء يحبّون القيام به.** الأفراد المبدعون يحتاجون إلى الخلوة والخصوصية! فلا تسألهم دائمًا: ما المشكلة؟ أو: ما بك؟ أو: لِمَ لا تشاركنا في هذا؟ أو: أنا أمك، بإمكانك إخباري. إنّ طفل السّنوات التّسع الذي يأتي راكضًا إليك بعد أن جرح ركبته، طالبًا مواساته والتخفيف عنه، هو نفسه الذي يسرع إلى غرفته إذا ما أُصيب بخَدْش بعد ثلاث سنوات، صافقًا الباب خلفه وغاضبًا إذا ما أردت مساعدته أو التّحدّث إليه عن إصابته. لم تنقضِ سوى ثلاث سنوات على الحادث الأول، وأنت ما زلت فيها الأب أو الأمّ دون تغيير، ولكن الشخص الذي تغيّر في هذه الفترة هو الطفل. إنه يحتاج الآن إلى الاختلاء بنفسه، والتفكير منفردًا بذاته، والنّجاح في الوصول إلى حلول المشكلات بعيدًا عن التّدخّل غير المرغوب فيه من الأب أو الأم بدافع الحبّ. فإن رأيت مثل هذا المشهد يحدث في بيتك فلا تنزعج لأنّ الأطفال لم يعودوا يهرعون إليك لحلّ مشكلاتهم، أو أنّ هناك خللًا ما، وقل: لقد نجحت في عمل شيء صحيح؛ إنهم يتعلمون كيفية حلّ مشكلاتهم بأنفسهم. وهذا ما تعنيه التّربية الأبويّة؛ تعليمهم التّفكير بأنفسهم ولأنفسهم، والتّوصّل إلى حلول مبتكرة بأنفسهم. وإذا حاولت أن تجمع أطفالك، وتصرّ على إخبارك بكلّ شيء يصادفهم، أو تجسست عليهم بتفتيش أغراضهم وهم خارج البيت، فأنت بذلك تنتهك مبدءًا أصيلًا من مبادئ التّربية الأبويّة السّامية؛ إنّه الحاجة إلى الخصوصيّة، وإلى مكان خاص بهم لا يخضع إلى التفتيش العشوائيّ. وطالما كنت تحاول مساعدتهم على اكتساب حسّ الإبداع الشّخصيّ، فلا تفسّر حاجتهم إلى الخلوة بأنه رفض لك، بل هو أمر طبيعيّ وصحّيّ وضروري بالنسبة إليهم.

وحيث إنني قضيت ردحًا من الزّمن في متابعة الإبداع، فإنّني أعترف بحاجتي إلى قضاء وقت طويل منفردًا. إنّني أحتاج إلى هذا الوقت للتفكير دون أن يقاطعني أحد، أو يسألني

عمـا أفعل أو إن كان كلّ شـيء على ما يرام. إنّنـي بحاجة إلى الخلوة من أجـل التركيز على عملي، وحلّ المعضلات التي تواجهني دون تدخّلات خارجيّة. وقد حاولت أن أفعل ذلك والآخريـن من حولي، لكن الأمر لم ينجح معي شخصيًّا. فـإن لم تتوافر لي الخلوة؛ لأفكر، وأكتب، وأقرأ، وأشعـر بالإحباط، وأمزق أوراقي، وأبدأ من جديـد، ولا أحلق ذقني – في غياب عيون متطفلة وفضوليـة، فإنني ببساطة لا أستطيع أن أبـدع. ولا شكّ في أنّ أطفالك يحتاجـون أيضًا إلى مثل هـذه الخلوة. لذا، عليـك أن توفّر لهم المـكان والوقت للاختلاء بأنفسهم إذا ما أرادوا ذلك، ليمارسوا إبداعهم. ولا تفترض أنّ لديهم مشكلة عندما يحبّون أن يكونوا وحدهم، فهذه علامة من علامات نضجهم.

- **عندمـا تمتـدح أطفالـك، عليـك أن تركّز علـى ما يهمهـم بدلًا مـن التركيـز علـى المكافآت الخارجيّة.** علّمهم قيمة السّعي لتحقيق تفوقّهـم بدل السّعي للحصول على الميداليات والكؤوس وشهادات التقدير. وإليك هذه المقابلة بين النهجين:

المكافآت الخارجيّة	المديح الإبداعيّ
أنـا فخور بك لحصولك علـى أعلى علامة في الصّفّ.	تصور! أنت تستطيـع الآن تهجئة خمسين كلمة زيادة على ما كنـت عليه في الأسبوع الماضي
أنت في المركز الأول، هذا رائع حقًا!	أنت رياضيّ رائع! لقد أفادك ذلك التدريب كثيرًا.
لقد حصلت علـى أعلى علامة فـي اختبار الاستعداد المدرسي، هذا إنجازٌ كبير بحق.	بالتأكيد أنك رائع في أداء هذه الاختبارات. كنت أعرف دائمًا أنك عبقريّ.
لقد مُنحت جائزة لانتظامك في المدرسة.	اعتقد أنك فخور بنفسـك لأنك لم تتغيب عن المدرسة يومًا واحدًا.

يجب أن ينصبّ التّركيز على ما يعينه التّحصيل والإنجاز للطفل، وليس على الذي سيفوز عليه، أو على مقارنته بآخرين في المدرسة. إنّ الأفراد المبدعين يتميّزون بأنّ لهم مقاييسهم الدّاخليّـة المهمـة بالنسبة إليهـم، ولا يعنيهم إنجـازات الآخرين. ولهـذا، كلما زدت من التوكيـد على ما يعينه كلّ نشاط للطفـل شخصيًّا ساعدته أكثر على تحقيـق تفوّقه الدّاخليّ.

وتذكّر أنّ الطّفل الذي يضع نصب عينيه هزيمة طفل آخر ليشعر بالفوز، أو الذي يراقب المنافسين الآخرين لمعرفة أدائهم، هو في الواقع طفل مقيّد بإنجازات غيره. وهذا ليس إبداعًا. إنه يتخذ الآخرين معيارًا لنجاحه؛ فإذا تعثّر منافسه، فهذا يعني أنه الفائز. وهذا في واقع الأمر تفكير الفاشلين. فإذا كان عليك أن تفوز على الآخرين دائمًا، أو أن تكون في المركز الأول بأيّ ثمن، فسوف يلازمك الفشل طوال حياتك؛ إذ لا يوجد إنسان يمكن أن يظل في المركز الأول دائمًا. ولهذا، فإنّ هذا المقياس للتّميّز الشّخصيّ يجعلنا خاسرين جميعا.

إنّ البديل لهذا المقياس هو البحث عن مقاييسنا الشّخصيّة في داخلنا. فيمكنك مثلاً أن تكون منافسًا، وأن تبذل أقصى ما تستطيع من جهد في مجال معيّن من مجالات الحياة، ولكن لا تحكم على نفسك بأنك خاسر لأنّ شخصًا آخر تفوّق عليك. إنّ الأفراد المبدعين هم الذين لا يقارنون أنفسهم بالآخرين، بل يتعاونون معهم، ويستخدمون عقولهم الإبداعيّة بطرق تناسبهم. ويمكنك أن تشجع هذا الميل عند الأطفال من خلال عدم التشديد على ضرورة هزيمة الآخرين، وأعطهم الفرصة ليمارسوا رياضاتهم التّنافسيّة دون تدخّل من البالغين، وأن يتخذوا قراراتهم بأنفسهم في أثناء اللعب، وأن يحلّوا خلافاتهم بأنفسهم بدل حلّها من قبل الكبار لهم. وبعبارة أخرى، دع الطفل، وليس أنت أو أيّ شخص آخر ذي سلطة، يختار ألعاب بنفسه، واترك المنافسات الكبيرة الصعبة لمن يرغب في أن يصبح رياضيًّا محترفًا.

تذكّر دائمًا أنّ الأطفال المبدعين ليسوا بالضرورة نظيفين ومهندمين. فإذا أصررت على إبقائهم نظيفين، فأنت في الواقع تتجاهل تطورهم الإبداعيّ؛ لأنهم بحاجة إلى الاستكشاف، واللعب بالتراب والرمل. وفي أثناء هذا النشاط، سوف يصابون بخدوش وكدمات وجروح، وستّتسخ أيديهم ووجوههم، وما عليك إلّا تقبّل هذا الواقع بدلًا من تغييره. فمن المستبعد جدًّا أنهم لا يحبّون أن تظل غرفهم نظيفة، ولكنك كلما خففت من الضغط عليهم لتنظيم حياتهم بناء على مبادئك زادت احتمالات اكتسابهم لعادات إبداعية سليمة. إنّ الإبداع لا علاقة له بترتيب الأشياء ووضعها في أماكنها، وتنظيم الحياة كما لو كانت سجل محاسبة، وإنما يعني أن يكون الإنسان طليقًا وحرًّا في التّفكير والاستكشاف، ومتّسخًا بين حين وآخر. إنّه لا يعني الصرامة ولا التنظيم. لذا، لا تشدّد كثيرًا على وجوب أن تكون حياتهم مرتبة ومنظمة، واسمح لهم أن يتصرّفوا بتلقائية قدر الإمكان. وعندما

تطلب الأم إليهم تنظيف غرفهم فهذا تناقض في حدّ ذاته. فإذا كانت الغرفة هي غرفة الطّفل حقيقة، فعليك ألّا تركز عليها، وأن تترك للطّفل الخيار في ترتيبها. فإذا لم تشاهد الصراصير تهرول من تحت باب الغرفة، فليس هناك مشكلة صحية. ولذلك، اترك غرفة الطّفل كما هي غرفة طفل! إنّ غرفة الأطفال هي فضاءات إبداعاتهم، وكما أنّك لا تحبّ أن يقول لك أحد كيف ترتّب غرفتك وتعيش فيها، فإن لهم هذا الحق أيضاً. عندها، سوف توفر على نفسك شجارات كثيرة إذا ما عوّدت نفسك على إغلاق الباب وتجاهل الفوضى. وفي المحصلة، إذا كانوا أطفالاً استثنائيين، فَلِمَ تفرض عليهم أن يعيشوا في غرفهم بالطريقة التي تريدها؟

لقد قدمت لك في الصفحات السابقة بعض الأفكار لمساعدة الأطفال على الارتقاء بقدراتهم الإبداعيّة. وإذا ما تذكّرنا أنّ الإبداع اتجاه من الحياة، وأنه شيء عصيّ على التّعريف، فبإمكانك أن تفعل الكثير لمساعدة أطفالك على السير في هذا الطريق. إنّ الإبداع شيء لا يمكن قياسه أو تصنيفه أو تقويمه من قبل أيّ إنسان آخر. لذا، عليك أن توقف المحاولات الخارجية لتحديد مقدار الإبداع وتقويمه عند طفلك. وإليك هذا الاقتباس مما قاله الموسيقار وولفغانغ أماديوس موزارت الذي توفي عن عمر 35 عاماً (1756 – 1791) وكان يعدّ من أشهر العباقرة المبدعين في تاريخ الموسيقي:

«عندما أكون على طبيعتي بالكامل، وأخلو إلى نفسي تمامًا.... أو في الليل عندما يجافيني النوم، تتدفق أفكاري بغزارة. أما كيف تأتي هذه الأفكار ومتى، فلا أعرف، كما أنني لا أستطيع إجبارها على الإتيان.»

تذكّر هذه العبارة «عندما أكون على طبيعتي بالكامل» لأنها تعني جوهر كلّ ما كتبته في هذا الفصل. ولا شكّ في أنّ إبداع الأطفال الذين يُسمح لهم بالتّصرّف على طبيعتهم تماماً سوف يشع مثلما تسطع شمس الظهيرة.

obeikandl.com